صناعة الحلم

(دراسة في صناعة حلم قومي مصري)

تأليف:

يسرا محمد حمودة

صناعة الحلم

(دراسة في صناعة حلم قومي مصري)

__تأليف :__

يسرا محمد حمودة

المقدمة:

"لو بطلنا نحلم نموت" تلك العبارة بداية أغنية شهيرة رغم مضي أعوام عليها، مازال البعض يرددها. ومع أن الأغنية تعبر عن حلم فردي، فإن البلاد هي مجموعة أفراد لذلك فهي تسري حتى على الدول".

فالدولة التي تصنع حلم يتوحد أفرادها ويلتفوا حوله تستطيع أن تتقدم، ولكن إن ذلك الحلم تذبل معه الدولة وتصفر أوراقها وتموت بالتدريج.

لقد أنقذ الحلم الحضارة اليابانية من السقوط بعد سقوط اليابان في الحرب العالمية الثانية. وبني الحلم الماليزية ماليزيا التي ما كانت تمتلك إلا الكاكاو وحسب.

والحلم الأمريكي كان سلاح أمريكي لتكوين إمبراطوريتها ووهج الحلم الأمريكي أعمى الملايين عن رؤية أمريكا الحقيقية.

وهناك أحلام سقطت وهزيمة ودفنت تحت رمال التاريخ، كالحلم الاشتراكي الذي بني شعويا ضعيفة وأعطى الضعفاء أملا في أن يصيرا بشرا لا أن يعيشوا كالحيوانات. ولكن سقطا ذاك العمل مع سقوط الحلم الاشتراكي.

وعندما نأتي لمصر نجد أن مصر مرت بعصرين عصر الحلم المصري الليبرالي وعصر الحلم القومي الاشتراكي العربي. وتعثر الأول مع فساد ضعف النظام الملكي الحاكم للحاكم المصري الليبرالي وسقط الثاني مع هزيمة ١٩٦٧ الذي أصرت الإمبراطورية الأمريكية أن تحدث لكي يسقط ذلك الحلم.

ولكي عندما نتأمل ماذا صنع هذان الحلمان لمصر لزي أن الحلم الأول صنع بلدا كانت يقتدي بها اليابان في بدايات القرن العشرين وكانت تشبه عواصم أوربا وكان التعليم فيها وخاصة في الجامعة المصرية مدعاة للفخر والاعتزاز.

وأخرج ذلك الحلم الجيل الأول الذي يسمى بجيل الرواد في شتى الفنون والعلوم والآداب. أخرج الحلم الليبرالي المصري عباس محمود العقاد وطه حسين في الآداب، وأخرج في الفنون محمود مختار وفي العلوم مصطفى مشرفة وسميرة موسى وفي السينما الرواد أنور وجدي وليلى مراد وغيرهم.

ولا ننسى أن صانعي ذلك الحلم المصري الليبرالي كانوا محمد عبده وقاسم أمين ومحمد فريد ومصطفى كامل (مع الأخذ في الاعتبار أن مصطفى كامل كان يؤمن بتبعية مصر للدولة العثمانية لا استقلالها) وطلعت حرب باني اقتصاد مصر الذي كان واحد من أكبر الاقتصاديين في عصره. ومعلومة صغيرة أن اليابانيين بدلا من دراسة جدول المشروعات اليابانية كانوا يقلدون تصرفات طلعت حرب لأنه كان اقتصادي عالمي بارز.

ثم جاء الحلم القومي الاشتراكي العربي لمصر في الحقبة الناصرية، وجعل مصر دولة مؤثرة في العالم ككل حتى قال عنها جون كينيدي: "في العالم اليوم ثلاث دولة هامة اليابان ومصر والهند".

وجعل الحلم القومي الاشتراكي العربي مصر في معدل نمو يقدره ٥،٥% في الخطة الخمسية الأولى، كما كان ذلك الحلم ملهما لحركات الاستقلال في العالم ككل. وقال كاسترو أن الفكر الناصري والفكر القومي العربي كان يساعده هو ورفاقه في قتالهم.

وداخليا جعل المصريين يعشقون بلدهم ويعملون من أجل تقدم مصر، حتى صارت الحماسة في صدودهم سلاحهم الأقوى. أداروا القناة وحدهم في موقف صعب تخلي فيه العالم عنهم. وجعلهم يحاربون كأفراد باستماتة في حرب ١٩٥٦ (العدوان الثلاثي على مصر) حتى صار الأفراد يخبئون الأسلحة في منازلهم تحت السرائر!

وكان السد العالي رمز الحلم الذي عمل فيه المصريون بكل طاقتهم حق يتحقق، ولقد ذلك الحلم مصر على الطريق الذي صارت عليه اليابان والمهند ولكن سقط العلم مع الهزيمة، والانفتاح وخيانة مبادئه في كامب ديفيد.

هذه الدراسة أعدها لأني أدرك الآن أننا صرنا بلا حلم ولا أمل، وسيطر علينا اليأس والغربة واللا انتماء.

هذه الدراسة أريدها أن تصير كروشتة أكتبها لكل من يريد أن يعود حلم مصر وأن تصير مصر ككل دولة سارت على خطى الحلم حتى تقدمت.

نحن بشر والحلم يجعلنا نحارب ونقاوم حتى ننهض ونحن شعب عاطفي وقوي ويستطيع الحلم – بإذن الله – أن يجعله يحقق المستحيل.

"دعنا من الواقعية، فقد خلق الحلم للمستحيل".

أولا: تعريف الحلم القومي:

أ- الهوية:

الحلم ينتمي بشكل أساسي للمنطقة التي يظهر بها والظروف المحيطة به ونموذج على ذلك أن الفقير يحلم بمال أو سلطة أو رفعة في المجتمع.

وأن الغني يحلم بزيادة أمواله أو يكون حلمه بسيط ولا يحتاج للإصرار العالي لأنه لم يربي على أن يشعر بأنه يريد شيء.

والمثقف غالبا ما يكون حلمه كبير وعال وطموحه لا يتعلق بالمال قدر ما يتعلق بالمكانة العلمية أو السياسية أو غيرها.

هوية الأفراد الثلاثة تصنع طبيعة حلمهم. وكذلك هوية الدول. وإن كانت هوية الأفراد تتكون من الدين والعائلة والطبقة الاجتماعية والدولة وثقافتهم أحيانا الانتماء السياسي. فكذلك تكون هوية الدول مرتبطة بالدين الغالب أو الأديان الغالبة عليها والمحيط الإقليمي الذي يصور بالعائلة في بعض الأحيان والظروف العالمية المصاحبة لتلك الفترة مكانة الدولة الطبقية (عالم نامي – أم متقدم) وحالتها المادية (دولة غنية أم فقيرة) وميزان الدولة الثقافي وتاريخها ومواقفها السياسية وأهم شيء لغة الدولة.

فالدين يصنع للحلم البعد الروحاني له وهو شريك في تشكيل الثقافة، ولذلك فقد ألقى عبد الناصر خطابه السابق للعدوان الثلاثي على مصر من الأزهر.

كما أن الإنسان عندما يشعر أن دينه (وهو واحد من ضلوع مثلث الضعف الإنساني) يدعوه إلى شيء فهو مما لا شك فيه يكون مستعد للتضحية.

أما المحيط الإقليمي فهو يفرض مواصفات معينة على الحلم. فالحلم المصري حتى قبل القومية العربية كان مرتبط بالمحيط العربي وقد تأسست الجامعة العربية في أربعينات القرن العشرين (قبل الثورة) لأجل مساعدة الدول العربية على نيل استقلالها.

يستحيل ألا تتأثر دولة بمحيطها الإقليمي، فما يحدث حول الدولة يؤثر فيها داخليا مما لا شك فيه.

فاحتلال دولة على حدود دولة الحلم لابد على أن يؤثر على أفرادها داخليا. وتقدم دولة أيضا في محيط دولة الحلم لابد أن يجعل الحلم يتأثر فمثلا تقدم اليابان دفع ماهيتر محمد صانع الحلم الماليزي يجعل الحلم الياباني هو قدوه الحلم الماليزي.

كما أن احتلال فلسطين قبل الثورة دفع الحلم المصري أن يتأثر بطبيعة القومية والرديكالية في الحقبة الناصرية. فجيل عبد الناصر الذي شهد هزيمة ١٩٤٨ كان طبيعي أن يتأثر ويربط الحلم المصري بتحرير العالم العربي ويربط الوطنية المصرية بالقومية العربية في الحلم المصري.

كذلك فان التغيرات العالمية تؤثر بشدة في طبيعة الحلم .ولا ننسى أن نشئة الحلم الليبرالي المصري الأولى كانت مع عصر النهضة الأوروبية الذي بدأت تظهر وتزدهر فيه الليبرالية والديمقراطية. وهذا يعد نموذجا على تأثير الظروف الخارجية على هوية الحلم.

كما أن ظهور الاشتراكية في مصر مرتبط بازدهار الفكر الاشتراكي في العالم في عصر ازدهار الفكر الماركسي، والتهاب وتيرة الحرب الباردة بين المعسكرين الرأس مالي والاشتراكي.

وفي فترة القومية العربية والفكر النضالي كانت حركات الاستقلال القومية في العالم على أشدها. كاسترو وجيفارا في أمريكا اللاتينية، النضال ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

كما أن الفكر الحيادي (الحياد الإيجابي) ظهر في فترة كيتو ونهروو عبد الناصر.

فالحلم الاستقلالي النضالي الاشتراكي القومي لمصر كان نتاج طبيعيا للظروف العالمية المحيطة بمصر في تلك الحقبة الزمنية التي ظهر فيها الفكر العادل الاشتراكي الاستقلالي حتى في فرنسا على يد ديجول.

أما عن المكانة الطبقية للأمة وسط العالم فمما لا شك فيه أنها تؤثر تأثيرا ملحوظا في الحلم. فدول العالم النامي تكون مائلة لصناعة الحلم عن الدول المتقدمة. فدول العالم النامي

تضع هدف التقدم نصب أعينها في صياغتها الحلم بينما الدول المتقدمة تهدف لزيادة التنمية وهو هدف لا يؤثر في الشعب قدر تأثيره في الحكومات.

فالحلم الأمريكي إنزوي فترة مع وصول أمريكا لدرجة ما عاد للحلم فيها بريق كما كان، بينما عاد للحلم الأمريكي جزء من بريقه لدى الأمريكيين مع الأزمة الأخيرة والشعور الشديد الذي تعرضت له أمريكا. ومن الملحوظ أن خطاب أوباما يحتوي على مرادفات مثل "نعم نستطيع" لإعادة أجواء الحلم الأمريكي من جديد.

ومثل الترتيب الحضاري لدول العالم يأتي الترتيب المادي لها كمؤثر فعال في الحلم. فالدول الفقيرة أكثر احتياجا للحلم وولعا به؛ لأنها تحتاج المال ليشعر أفرادها بالرخاء. أما الدول الغنية حتى وإن كانت نامية (كدول الخليج) فلا تجد لديها نفس الولع بالحلم، لعدم شعور الأفراد بالاحتياج الحقيقي للتنمية لتوفر المال والرفاهية "مجرد الرخاء" لديهم.

لذلك نرى أن الحلم الهندي نجح وبقوة. ولكون الهند دولة فقيرة تحتاج المال وكون الشعب الهندي يشعر بالحاجة الحقيقية للتنمية صارت الهند الآن واحدة من أقوى اقتصاديات العالم.

والآن نأتي لأهم مكونات هوية الحلم ألا وهو الثقافة وتاريخ الدولة ولغتها ومواقفها السياسية. فالثقافة هي عادات وتقاليد الشعب وأفكاره. فالثقافة هي الصانع الحقيقي للهوية. فعندما أقول السامبا وحضارات الهنود الحمر فأنا أشير إلى البرازيل، وعندما أقول الفن والأزياء والعطور والفلسفة مبادئ والمساواة والعدل والإخاء فأنا أشير إلى فرنسا (أو هذا يتبادر إلى الذهن) وعندما أقول الفراعنة فدون تفكير سيقال أني أشير إلى مصر.

وصانع الثقافة هو التاريخ والدين ففرنسا صنع مبادئها الثورة الفرنسية ومصر صنع ثقافتها التواريخ الكثيرة التي مرت بها (الحضارة الفرعونية – الحضارة اليونانية الرومانية والحضارة الإسلامية وأخيرا التاريخ الحديث) وأمريكا صنع حضارتها التاريخ الاستيطاني المادي الرأسمالي للمستوطنين الأوائل البريطانيين.

كما تأثر بالدولة الفيدرالية الجمهورية الديمقراطية التي أسسها (جورج واشنطن) أما الدين فهو صانع الثقافة العربية (الدين الإسلامي) وصانع الثقافة الهندية (الهندوسية) والثقافة الأمريكية (الدين المسيحي) والثقافة الصينية اليابانية (البوذيةوالكنفوشوسية).

والثقافة تصنع روح الحلم. فالحلم الأمريكي بني على مبادئ الديمقراطية والحريات المدنية (كفاح السود (مورتن لوثركيج)) والجمهورية والليبرالية تلك المباديء والحلم الياباني بني على مبادئ العمل والتضحية والمجهود وعشق المجتمع والفداء تلك المبادئ التي أخذت من تاريخ الساموراي و الشرطة اليابانية.

والحلم المصري (الوطني والعروبي) كلاهما بنيا على مبادئ الدين الإسلامي (رغم علمانية الفكر الناصري) وعلى مبادئ الحرية والاستقلال والدفاع عن الوطن وعشق مصر والتضحية حتى النهاية لأجل كرامة مصر. وهذا يرتبط بتاريخنا فالمصريين شديد والتضحية والحب لبلدهم منذ عصر المصريين القدماء أي قبل نشأت الفكر الوطني والقومي في العالم بقرابة السبعة آلاف عام!

وعندما نتحدث عن اللغة يجب أن ندرك أن الأحلام القومية المشتركة (وهو ما سيذكر لاحقا في هذه الدراسة) ترتبط ارتباطا وثيقا بإيجاد أرضية مشتركة وأفضل أرضية مشتركة تجمع مجموعة أفراد هي اللغة.

وهنا تتذكر أن إسرائيل كان هدف رؤسائها الأوائل الرئيسي تجميع الإسرائيلي على اللغة العبرية كلغة قومية (ليس لارتباطها باليهودية فحسب ولكن لصناعة أرضية موحدة توحد الإسرائيليين القادمين من شتى دول العالم).

لذلك استند الحلم العربي القومي على اللغة العربية وصارت لغة رسمية لمصر واشتهرت أغنيات أم كلثوم باللغة العربية. ولذلك حرض الأمريكيون على تحريف بعض مبادئ اللغة الإنجليزية لصناعة هوية أمريكية خاصة مختلفة عن الهوية الإنجليزية والمواقف السياسية هي طبيعة الحلم فالحلم إما أن يكون اشتراكي أو رأسمالي أو قومي أو وطني أو ديمقراطي أو ليبرالي.

أما عن مواقف الدولة السياسية فهي جوهر الحلم. فإن الدولة التي تتبنى الحلم الاستقلالي النضالي لابد أن تدعم الدول المستعمرة والمحتلة ولابد أن يدعم الشعوب في نضالها ضد الاحتلال (كما فعل عبد الناصر مع الجزائر).

أما الدول التي تجعل ركيزة حلمها الديمقراطية والحريات المدنية كأمريكا لضغط فعليها دعم الشعوب المتعرضة للديكاتورية (كما تفعل الأمريكا ولكن بهدف الاخضاع مع معظم دول العالم النامي، ومع الصين من دول العالم المتقدم.

والدول التي ترتكز على الاشتراكية في حلمها عليها دعم الدول الفقيرة والتي تتعرض للضغط لأجل انتهاجها الخط الاشتراكي (كما فعله السوفيت مع مصر).

وهكذا أكون قد شرحت طبيعة ارتباط الهوية بالحلم القومي، وسيزداد شرحي وضوحا مع الأجزاء القادمة في هذا الفصل.

ب- الثقافة:

لقد تناولت الثقافة في الجزء الخاص بالهوية بما أنها أحد المكونات الأساسية للهوية ولكن الآن سأكتب باستفاضة أكثر عن الثقافة.

الثقافة هي العادات والتقاليد والأعراف التي تكون شعبا ما. وكما قلت مسبقا فالثقافة والفنون يشكلهما التاريخ والدين وتجارب الشعب. وللثقافة أدواتها ألا وهي الفنون والآداب بشتى أنواعهما.

التاريخ يبني التجارب التي تصنع الأعراف والأفكار وتشكل الدين أيضا التقاليد والأعراف التي ينتهجها الشعب. لذلك نجد أن الشعوب التي تنتمي لحضارات متقاربة وأديان واحدة شديدة القرب في طبيعة شخصيتها.

والتاريخ والدين يؤثران في الفنون الآداب. لذلك نجد الفلكلور الشعبي والأساطير والملاحم الشعبية تحوي القيم الدينية للشعب وتدور في جزء من عصوره التاريخية وشخصيات الملاحم الشعبية تؤخذ من الشخصيات التاريخية الشهيرة.

والفنون الشعبية كالرقص النوبي، أصولها تاريخها، حتى أن الرقص الياباني للجيشا أصوله ترجع إلى العصور الوسطى وعصر الساموراي في اليابان.

والآداب سواءا الشعبية أو التي يكتبها المثقفين تتأثر بعادات وتقاليد وأعراف ودين الشعب. وتتأثر شأنها شأن الثقافة والهوية بالظروف العالمية المحيطة والظروف الإقليمية.

ولأن التاريخ غالبا مسيس ولأن الأدب لا يبتعد كثيرا عن السياسة فإن الفكر السياسي يؤثر في الأدب والفن تأثيرا شديدا ومن هنا ظهرت السينما السياسية وظهر المسرح السياسي والكاركاتير السياسي والروايات السياسية والشعر السياسي.

والأدوات الثقافية هي إحدى الضلوع الثلاثة للقوة الناعمة. وهي أحدي ركائز صناعة الحلم في الدولة. فيستحيل أن أذهب إلى دولة ثقافتها التاريخية ملكية وغير ثورية كإنجلترا وأدعوى إلى حلم راديكالي.

وكذلك الحال لدولة كمصر تاريخها المعاصر كله تقريبا مقام على ثقافة رديكالية، هنا في مصر يستحيل صناعة حلم غير قومي أو رديكالي.

ودول أمريكا اللاتينية التي قامت فيها مئات الثورات العسكرية يستحيل صناعة حلم ليبرالي بنسبة ١٠٠% بها.

لذلك فإن الثقافة تعطي الحلم الإطار الذي يعمل من خلاله. فالثقافة العربية الإسلامية أعطت الإطار للحلم القومي العربي. والثقافة المصرية الوطنية أعطت الإطار للحلم الوطني المصري بعد مصطفى كامل. والثقافة الجمهورية الداعية للمساواة والعدل والإخاء التي كرستها الثورة الفرنسية كانت إطار الحلم الفرنسي. وأخيرا وليس آخرا الثقافة الليبرالية والديمقراطية الممزوجة بالدفاع عن الحقوق المدنية كانت إطار الحلم الأمريكي.

الثقافة تعطي للحلم طعمه الخاص وترسم للكاريزما القائدة للحلم الطريق الذي تتبعه والمرادفات التي تستعملها في خطابها الحماسي وهو ما سأشرحه باستفاضة في الفصل الخامس من هذه الدراسة (خطاب الحلم).

د- الانتماء:

الحلم القومي لدولة أو مجموعة دول (الفكر البوليفاري في وحدة أمريكا اللاتينية أو الفكر العروبي) يستند على الانتماء إلى تلك الدول أو مجموعة الدول فغير ممكن أن أصنع حلما داخل دولة بدون أن يحبها أفرادها.

فالحلم المصري بني على عشق المصريين لمصر واتحد شعاره عبارة مصطفى كامل "لو لم أكن مصريا لو ردت أن أكون مصريا). واستند الحلم الياباني على تربية النشأ على الانتماء للمجتمع الياباني. والحلم الفرنسي بني على حب الفرنسيين الشديد لفرنسا وارتباطهم بها كجزء منهم.

لصناعة الحلم يجب أولا أن يزرع الانتماء داخل الحالمين لبلدهم، لأهلهم، لدينهم، لشعوبهم، ولمبادئهم. فالمبادئ كالأرض الانتماء إليها هو الذي يقويها. مات توليستوي معانيا بعد أن هجره الجميع حتى عائلته لأجل مبادئه. كما قطعت جان دارك قطعا وألقيت في النهر لأجل فرنسا. كلاهما انتميا تولستواي لمبادئه وجان دارك لوطنها.

وتولستوي صنع حلم العدل والمساواة في كتبه وصنعت جان دارك حلم وطني لفرنسا ومع أن كلاهما ماتا إلا أن أحلامهما عاشت وجاء من أحياها.

ربما هذان رمزان ولكن مشاعر الانتماء لديهم هي ما يحتاجه الحلم لينهض ويستمر. قبل صناعة بريق الحلم ووهجه يتوجب على صانع الحلم زرع الانتماء الحقيقي للحلم داخل الشعوب والانتماء الحقيقي للوطن وللمجتمع وللمبادئ.

ناهيك عن وجوب شعور الشعب بالانتماء من قبل قادته للبلد، فمصطفى كامل ضحى بصحته لأجل حلم تحرير مصر، وضحى جمال عبد الناصر كذلك بصحته وماتا لأنهما أهملا مرضهما لأجل الوطن العربي.

عندما يشعر الشعب بالانتماء من قبل قادته للبلد ينتمي الشعب لها. كذلك يجب الأخذ في الحسبان أن الانتماء صناعة تعتمد على أن يشعر الفرد بأن ما يعطيه لبلده سيعود إليه أو إلى أولاده من بعده.

كذلك يجب أن يشعر الشعب بأن كل فرد فيه مهم للآخر. ويجب أن يتحول المجتمع بأكمله إلى روح العائلة. ويكون كل فرد منتمي لذلك المجتمع ومستعد للتضحية من أجل الآخر.

ذلك يصنع الوحدة داخل الشعب ويتخطى حدود الطائفة ويزرع الانتماء. وهنا يسهل توحيد الشعب حول حلم واحد وهدف واحد.،

وكذلك يصبح من السهل صناعة حلم قومي داخل الوطن يستند إلى انتماء أفراد إلى بعض وإلى الوطن.

ج- القومية:

تعرف القومية على أنها "ارتباط مجموعة من الناس ببعض وتفضيل من في المجموعة على غيرهم الناس". إلا أني لا أحب هذا التعريف لأنه يحول الفكر القومي لفكر قبلي مع أن القومية هي النقيض الكامل للقبلية.

فالقومية هي توحيد أفراد الشعب على فكر واحد بدون نظر إلى العرق أو الدين أو الجنس أو اللون بينما القبلية تهتم بالعرق أو الدين وتزدري كل من هو مخالف لها في الدين أو العرق.

ورغم مناورة الكثير من الليبراليين ومحاولتهم فك الارتباط بين الحلم والقومية، يبقى الحلم دائما حلما قوميا لا ديمقراطيا أو ليبراليا. فحتى أمريكا حلمها الأمريكي حلم قومي ديمقراطي.

القومية هي التي توحد الشعب بمختلف أعراق وأديان وألوان أفراده على حلم وهدف واحد. والأحلام التي تبنتها معظم دول العالم غلب عليها الجانب القومي.

فالحلم الاستقلالي لإيرلندا رغم أن الكاثوليك هم من قادوه إلا أنه كان حلما قوميا. وحلم فرنسا كان حلما شبه قومي. وحلم صين مما لا يدع مجالا للشك كان وما يزال حلما قوميا رغم توجهها إلى العولمة. وحلم بوليفار كان قومي بالطبع. حتى حلمنا المصري في الأربعينات كان قوميا وطنيا مثل ما كان ليبراليا.

القومية هي التي تضمن توحيد الشعب حول الحلم. فلو نظرنا إلى معظم دول العالم سنجد أنه يجب أن يكون هناك اختلاف بارز بين أفراد شعبها في أشياء معينة فشعب أمريكا مختلف في كل شيء تقريبا (اللون، الجنس، العرق، الدين) ولكن يجتمع الأمريكيون حول الحلم الأمريكي (مما يجعله حلما قوميا) ومصر رغم أنها تظهر كدولة لا يختلف أفراد شعبها بشكل ملحوظ فإن مصر تحوي حضارة بدوية (البدو بسيناء) وحضارة نوبية (أسوان) وحضارة عربية (عرب مطروح) وما يجمع كل هؤلاء مصر. فالنتخيل لو أن النوبيين قرروا الانضمام إلي السودان. وعرب مطروح طلبوا الانضمام إلى ليبيا. وبدو سيناء طلبوا الانفصال. ماذا سيبقى من مصر؟ وهذا يعني أن مصر تحتاج وبشدة إلى حلم وهدف قومي.

ربما مع سقوط الفكر الاشتراكي وظهور عصر العولمة بدأ الجميع يهاجمون الفكر القومي، لكن مع ذلك يبقى الفكر القومي هو عماد الأحلام التي تتبناها الدولة فبدون القومية لن يكون الحلم مرتكزا على أهداف مشتركة ولا إلى أرضية مشتركة. وبذلك سيصبح الحلم فئوي بدلا من أن يلتف كل أفراد الشعب حول الحلم لتحقيقه.

ثانيا: ركائز الحلم

في هذا الفصل أتناول الركائز التي يبني عليها الحلم. واضح نصب الأعين أهم الأشياء التي يجب أن تتوفر في الحلم.

أ- القومية:

لقد سبق وذكرت في الفصل السابق أن القومية هي الأساس الذي يجمع الكل باتجاه الحلم، بدون تفرقة بين عرق أو لون أو جنس ولذلك هي الركيزة الأولى بل البنية التحتية للحلم. ولن استفيض في الكلام عن القومية لأنه سبق الإشارة إليها في الفصل السابق.

ب- الكاريزما والأمثال العليا:

الكاريزما في هذه الحالة هي القائد الذي يلقي الخطب الحماسية وسط الشعب أو الشعوب المعنية بالحلم القومي. وبدون الكاريزما لا يوجد حلم، هل يتخيل أحد حلم المساواة في أمريكا بدون مارتن لوثر كينج؟ هل يوجد حلم استقلالي بدون القائد؟ هل وجد حلم استقلال مصر بدون مصطفى كامل وسعد زغلول؟

هل قام حلم القومية العربية من دون عبد الناصر؟ هل قام الحلم الماليزي بدون ماهيتر محمد هل قام حلم الهند بدون نهرو؟

مما لا شك فيه أن الشعوب تحتاج كاريزما تلتف حولها. وطبعا الكاريزما شخصية نادرة تتوافر فيها صفات خاصة ولا يوجد منها سوى واحد في الملايين ولكن كل شعب يحتاج إلي نوع كاريزما خاص يتناسب مع ثقافته وبيئته الحضارية. فأمريكا تحتاج لكاريزما عاقلة كمارتن لوثر كينج، جون كيندي أو أوباما. بينما تحتاج الدول العربية لكاريزمات ثورية كعبد الناصر، مصطفى كامل، وعبد القادر الجزائري.

ولكن يبقى دائما الكاريزما محرك مسيرة الحلم. حتى لو مات كعبد القادر الجزائري ربما يستمر بريقه وبريق الحلم ويأتي من يحيه. وربما يسقط ومعه الحلم كعبد الناصر أو تيتو.

لا توجد نهضة بلا حلم ولا يوجد حلم بلا قائد أو قائدة (ماري روبنسون في إيرلندا) ومع الكاريزما والقائد يجب أن يكون هناك صورة الأمثال العليا الرائدة.

ونموذج على الأمثال العليا أذكر في حلم الحريات المدنية في أمريكا روزا باركس. فهي المثل الذي استند عليه مارتن لوثر كينج في كفاحه من أجل الحريات المدنية.

ونموذج آخر من التجربة الهندية غاندي الذي لعب دور الكاريزما والمثل الأعلى في وقت واحد. وفي نضال الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، اتخذ الجزائريين الثوار من عبد القادر والجزائري مثلا للنضال لا كاريزما، واتخذوا من جميلة بوحريد مثالهم في التضحية من أجل الجزائر.

وفي حلمنا المصري شكل أحمد عرابي المثل الأعلى للثوار بل ساهم في تشكيل شخصية عبد الناصر فيما بعد. وفي التجربة اليابانية أتوخذ افراد سلاح الشرطة اليابانية في القرن التاسع عشر نموذجا للتضحية والفداء من أجل اليابان.

وأخيرا وليس آخر فقد اتخذت الأحلام النهضوية التنورية في مصر على يد محمد عبده وقاسم أمين وأحمد شوقي (والذي اسميه شاعر الثورة التنورية) من دفاعه رافع الطهطاوي المثل الأعلى لها.

ومن هنا يتضح أن الكاريزمات والأمثال العليا تشكل القدوة للشعوب في التضحية من أجل الحلم. كما تشكل المشاعر الرغبة والاستعداد للتضحية من أجل الوطن والحلم. وتزرع الحماسة داخل قلوب ووجدان الشعب، ودائما ما تولد الحماسة إرادة. وكما يقول المثل الإنجليزي: "ما دامت هناك إرادة، فإن هنالك طريق".

<u>ج- القيم الأساسية التي يجب أن تتوفر في الحلم:</u>

ليثق الشعب في الكاريزما وبالتالي يقف مؤيدا للحلم لابد من أن يتحلى الكاريزما والذين حوله بعدة صفات أساسية. مبادئ تجعل الشعب. يقف فيما يقولون ولا شك بأنهم يخدعوه.

المساواة:

يجب أن يكون هناك مساواة بين الجميع لا يشعر الشعب بوجود طبقة مميزة عن الباقين. لا يشعر الشعب بالغربة وسط وطنه أو بأنه أقل من الأغنياء أو المتسلقين.

وطبعا لابد أن يكون هناك مساواة بين كل الفئات في الحلم. الرجال والنساء، الصغار والكبار، الأقلية الدينية والأغلبية الدينية، البيض والسود والصفر.

تلك المساواة تكفل الوحدة بين أفراد الشعب حول الهدف. فعندما يشعر الجميع بأن لا أحد مميز عن أحد إلا بسبب العمل والكفاءة، يصبح الجميع ملتفين معا حول الحلم. ويشكل هذا ثقة أكبر بالقائد وبجوهر الحلم.

ويصنع المجتمع المتماسك القادر على إيجاد أرضية مشتركة وأهداف مشتركة بين أفراده؛ لأجل صناعة الحلم المشترك.

ب- العدل:

العدل هو نتاج طبيعي للمساواة. فعندما يكون الجميع متساوون يصبح المعيار الحاكم للاختيار والحكم معيار عادل قائم على الكفاءة والعمل لا التفرقة لأجل المال أو السلطة أو الجنس أو الدين أو اللون.

وبذلك يصبح العدل القيمة الرئيسية التي يستند عليها الحلم القومي، ويصير الجميع واثقين بالعدالة والحق. والعدل صفة تشبه السلم، إذا التزم بها القواد فستنتشر بين الشعب الحالم أم إن لم يلتزم بها القواد فسيفقد الشعب ثقته بهم وستكون الفجوة المحددة في جدار الحكم مرتبطة بمقدار الظلم.

فضعف الحلم الأمريكي راجع إلى انتشار الظلم في أمريكا بعد ريجان ونقطة ضعف التي كانت في الحلم القومي العربي ترجع إلى عدل النظام الناصري في كل شيء إلا في تفضيل فرقة عبد الحكيم عامر.

إذن العدل هو نتيجة المساواة الشاملة والكاملة وهو الدعامة التي يستند عليها الحلم داخل قلوب الشعوب ووجدانها.

٣) الرغبة في الاستقلال وروح اللاخضوع واللا إذلال والكرامة:

من القيم الأساسية لأي حلم هي الرغبة في الاستقلال. ولا يشترط أن يكون استقلالا سياسيا بل من الممكن أن يكون استقلالا اقتصاديا.

فالحلم الياباني وضع الاستقلال السياسي جانبا مقابل الاستقلال الاقتصادي الذي في وجه النظر اليابانية هو السبيل لاستقلال الكامل.

والحلم الماليزي كان حلم استقلال اقتصادي فماليزيا لم تكن محتلة عندما حلمت بالتقدم. والحلم المصري الوطني والحلم القومي العربي كلاهما دمجا بين حلمي الاستقلال السياسي والاقتصادي.

والرغبة في الاستقلال يجب أن تتوفر في الحلم، فهي وقود الشعوب الذي يحمسها ويشجعها للقتال لكي لا تشعر بالخضوع والإذلال والإهانة. ولذلك يجب أن تتوافر الإرادة الحقيقية في الاستقلال لكي تتحرك الشعوب باتجاه التمسك بالحلم وتحقيقه.

والرغبة في الاستقلال وهي من القيم التي تزرع في نفوس الشعوب. وتزرع برفض الخنوع والإخضاع والإذلال. ويجعل الشعب يشعر بمعنى الكرامة، ويكون ذلك بمواقف الدولة التي ترفض وتتصدى بشدة دبلوماسيا وسياسيا لأدنى إهانة بفرد أو مجموعة أفراد من الدولة أو الشعر داخليا أو خارجيا.

كما يجب أن يزرع الكاريزما روح الكرامة داخل الشعب. فلا يشعر فرد بأنه مهان أو أنه مذل داخل وطنه أو خارج. وأن يكون إهانة اسم الدولة أو البلد خطيئة خارجية كبرى تهدد بالحرب في بعض الأحيان.

الرغبة في الاستقلال تصنع من الكرامة. فمن يمتلك كرامة يأبى أن يخضع لأحد فالطفل الذي رباه أهله على الكرامة غالبا ما يرغب في الاستقلال عنهما عندما يكبر ولا يحتاج إليهما.

هكذا يصبح الشعب أبيا راغبا في الاستقلال والاعتماد على النفس وتحقيق الإكتفاء الذاتي للبلد وعدم اللجوء إلى الخارج.

وبذلك تدفعه الرغبة في الاستقلال إلى الحلم. فيحلم بأن بلاده ستصير يوما ما مستقلة لا تحتاج إلى أي دولة وبذلك تنشأ بذور الحلم القومي في الاستقلال داخل نفس الفرد في المجتمع.

وتلك الروح هي التي تصنع العزيمة والإرادة للتقدم وتحقيق المستحيل بالحلم والإرادة والعمل والرغبة في تحقيق الاستقلال.

ع- زرع الثقة بالنفس والأمل والتفاؤل:

لا توجد قيمة بأهمية قيمة الثقة بالنفس والأمل. والشعب الذي لا يثق بقدركبير في تحقيق الحلم لن يستطيع أبدا تحقيقه. أن هذا الأمر يتعلق بالإرادة. فالطالب مهما كان متفوقا ولكن بلا ثقة بنفسه لن يحصد التفوق. فإرادة نابعة من ثقتنا بأنفسنا.

وخطاب الحلم يجب أن يتضمن كلمات تدل على قدرة الشعب على تحقيق المستحيل (الفصل السادس خطاب حلم). وما يسقط الجيش في الحرب هو اليأس وفقدان الثقة بالنفس. ومن أسباب سقوط جيش هتلر في روسيا هو أن الاتحاد السوفيتي عين عميل K.G.B وسط الجنود ينشر بينهم اليأس وعدم القدرة على المقاومة وفقدان الثقة بالنفس.

سر نجاح الحلم الألماني في حقبة هتلر قبل هزيمة الحرب العالمية الثانية، هو أن هتلر أعطى الشعب الألماني الثقة بنفسه لدرجة الجنون. وأنه لا شعب يفوق الشعب النازي وهو ما أثر سلبا على شعوب العالم حيث صدق كثير من أفراد العالم شعوب بعدم قدرتهم على هزيمة الجيش النازي وانتشر بينهم اليأس والاستسلام.

والآن في مصر يسب الجميع الشعب المصري (المصري يسب نفسه!) وينتشر بين الجميع ازدراء أنفسهم واتهام الشعب المصري بعدم قدرته على التقدم علاوة على زرع اليأس داخل نفوس المصريين ونشر الإيمان بعدم قدرة البلاد على التقدم. ولا أظنني مخطئة إن قلت

أن الموساد الإسرائيلي أو المخابرات الأمريكية قد خططوا جيدا لهذه اللعبة كما خطط السوفيتي لنشر اليأس بين الجنود الالمان في الحرب العالمية الثانية.

زرع عدم الثقة وازدراء الذات واليأس داخل شعب هو ضربة القاتلة للحلم داخله لا يستطيع إنسان أن يحلم إن لم يكن واثقا تمام الثقة بقدرته على بلوغ الحلم وأن هناك دائما الأمل حتى النهاية في النصر.

وأتذكر هنا مباريات كرة القدم التي تعد خير نموذج على الحلم القومي عندما يكون لدى اللاعبين الأمل في النصر حتى النهاية يحرزون الهدف في اللحظة الأخيرة من الوقت بدل الضائع.

ذلك هو الحلم، الثقة بالنفس، الإرادة، القتال حتى النهاية والاستماتة لتحقيق الهدف، وأهم شيء الأمل حتى في اللحظة الأخيرة.

تلك هي الروح التي تصنع الأحلام، وتلك هي الروح التي يجب أن تصنع. روح التفاؤل بالنصر، الأمل وأهم شيء الثقة بالنفس.

ولنتذكر أن ما حطمنا هو اليأس والتشاؤم وازدراء الذات. وأن أملنا الأخير في الحلم الذي لا يصنع إلا بالأمل والثقة بالنفس والتفاؤل.

هـ) روح التحدي:

روح التحدي هي الإصرار على الانتصار على الخصم حتى النهاية وهي ما أشرت إليها في المثال السابق في الكرة التي تدخل شباك مرمى الخصم في آخر ثواني المباراة.

روح التحدي تجعل الشعب يصر على النصر حتى النهاية. ولا يهم أن يكون الخصم عدو بل قد يكون الخصم هو الاعتماد على الغير والضعف والتخلف وللفقر. ولذلك تجد روح التحدي لدى شعوب العالم النامي حماسية وقوية أكثر من شعوب العالم المتقدم التي لا تجد عدو سواء دولة خصم أو فقر، أمية، تخلف أو عدم استقلال.

وهنا أتذكر الجدل الذي دار في أمريكا حول ضرورة إيجاد عدو بعد الاتحاد السوفيتي لأجل نشر روح التحدي والإصرار وداخل الشعب الأمريكي. ولسوء الحظ اختير الإسلام العدو الجديد لأمريكا.

وروح التحدي هي الدافع الحقيقي للحلم، فعندما يكون الفرد راغب في تحقيق حلمه وتحدي من حوله وأحيانا نفسه وظروفه لأجل تحقيق ذلك الحلم، تشتعل الحماسة داخله وتكون وقود يدفعه وبقوة نحو الحلم.

وكذلك يكون التحدي بالنسبة للحلم القومي. فعندما يزرع روح التحدي داخل الشعب لتحقيق الحلم. يندفع الشعب متحديا عدوه (أيا كان) غير عابيء بمن حوله ولا بظروفه، ولا حتى بمقدار قوته أمام خصمه، وتلك الروح تجعل الشعب كالقنبلة بالنسبة لمن حوله.

فمن كان يصدق في الخمسينات أن تدير مصر القناة وحدها؟ ومن كان يصدق أن تخوض مصر حرب كحرب أكتوبر ويظهر الشعب طاقات ومهارات لم تظهر خلال الحربين العالميتين؟ من كان يصدق أن شخصا واحدا كعبد العاطي صائد الدبابات يصيد ما تصيده دولة كاملة بالحرب من دبابات تصل إلى ٨٠ دبابة!

ومن خطر بباله أن دولة بلا مورد، محطمة، ومدمرة تدمير كامل كاليابان تصير في ثلاثين عاما فقط واحدة من أقوى اقتصاديات العالم. وفي نصف قرن الاقتصاد الثاني عالميا بعد الولايات المتحدة الأمريكية!

هذه هي روح التحدي، والاستماتة التي تزرع مع الحلم. هذه هي الوقود النووي الحلم الذي يحقق ما يعجز عنه الملايين.

الإنسان يمتلك طاقة لا حدود لها عندما يقرر أن يتحدى، وتلك هي الطاقة التي تحقق الأحلام الخاصة والأحلام القومية.

و- القيم الخاصة والمميزة للحلم:

1) القيم المتصلة بالحلم:

الحلم يجب أن يحتوي بين مكوناته قيما يدافع عنها، فلا معنى لحلم لا يشتمل على قيم مميزة له، خاصة به، تعطي له بريقا خاصا.

فالحلم الأمريكي حمل قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان وشعارات حق تقدير المصير (التي لم تتحقق أبدا وظلت محض شعارات) والمساواة ونبذ التمييز العنصري.

وتلك القيم التي بدأت مع جورج واشنطن (أول رئيس لأمريكا)، مرورا بلنكولن (محرر العبيد)، ثم ويلسن (واضع وغير المؤمن بحق تقرير المصير) ، حتى أخيرا بوش (الذي كرس للا ديمقراطية وأيضا الذي استعمل الشعارات السابقة للضغط على الشعوب، تلك القيم هي ما ميز الحلم الأمريكي وهي ما أعطاه بريقه داخليا وخارجيا وجعل أمريكا تتفوق على الاتحاد السوفيتي في عدد الأفراد المؤيدين لها.

حتى أن تلك القيم هي ما دفعت كثيرا من مثقفي دول العالم لقيادة شعوبهم نحو الانبهار بالنموذج الأمريكي، وهي أيضا سبب هجرة معظم سكان العالم (وخاصة المصريين) إلى أمريكا.

أما عن قيم النموذج الياباني فكانت حب العمل، التضحية من أجل المجتمع، الاجتهاد، العمل الشاق. وتلك القيم هي التي جعلت دولة بلا موارد تعمل بجد وإخلاص كالطالب الفاشل الذي يذاكر طوال اليوم كل السنة حتى يتفوق) حتى صارت ثاني أقوى اقتصاد في العالم.

وهنا اتذكر قصة طريفة عن اجتهاد الشعب الياباني.قالت ذات مرة رئيسة الوزراء الاولي لفرنسا عن اليابانيين انهم يعملون كالنمل (لانها كانت مغتاظة من غزو المنتجات اليابانية للاسواق الفرنسية) ، فرد عليها مسئول ياباني كبير معلقا بان النمل افضل من الصراصير (في الفكر الياباني ان النمل يعمل طوال الصيف فياتي الشتاء فيجد مايأكله ،بينما الصراصير لا تعمل في الصيف فتعاني في الشتاء!).

قيم الأحلام الاستقلالية في النصف الثاني من القرن العشرين فكانت التضحية والفداء والتحدي والشهادة والإصرار والكرامة والمقاومة ورفض المهانة والذل والاحتجاج والإصرار على الاستقلال مهما كان الثمن. وتلك القيم هي التي أعطت الأحلام الاستقلالية قوتها وبريقها لدى الشعوب المقهورة وصارت الحركات الاستقلالية تسير في العالم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بسرعة هائلة كالنار في الهشيم.

وقيم الأحلام الاشتراكية التي جعلت تجذب نصف سكان العالم المعمور في حقبة الحرب الباردة كانت المساواة والتضحية بالخاص من أجل العام، والمقاومة والتكاتف والمشاركة، والقضاء على الظلم والفقر والمساواة بين الفقير والغني في كافة مجالات الحياة. تلك الأحلام هي ما نهض بالشعوب الفقيرة المقهورة هي التي أعطت الفقراء في العالم الأمل في مستقبل أفضل لأبنائهم وهي ما أعطى الاتحاد السوفيتي قوة في حقبة الحرب الباردة.

والقيم هي الأهداف الأخلاقية للحلم التي تدفع الجميع للانحناء احتراما وتقديرا للحلم حول العالم. القيم هي الأهداف الأخلاقية التي تجعل الفرد يشعر بأنه يضحى من أجل هدف يستحق منه التضحية. لا شيء يساوي أن تشعر بأنك تفعل مال تفعل لأجل قيم وأهداف أخلاقية تؤمن بها.

الأهداف الأخلاقية والقيم هي البريق الحقيقي المصاحب للحلم داخليا وخارجيا.

٣) لا محلية قيم الحلم:

يفترض أن القيم لا محلية أي أن تكون القيم تشمل الداخل والخارج، وأن تخوض الدولة معارك خارجية بهدف دعم تلك القيم ولا يقصد بالطبع حروب ولكن معارك لدعم القيم المتصلة بالحلم القومي.

مثلما فعل عبد الناصر عندما دعم حركات التحرير الخارجية وعندما أعلن اعتراف مصر بألمانيا الشرقية فور إعلانها. ومثلما كان الاتحاد السوفيتي يدعم الدول التي تنتهج الخط الاشتراكي مثلما فعل مع مصر في العدوان الثلاثي عليها. وكذلك تفعل أمريكا من إدعاء دعم الديمقراطية وحقوق الإنسان والمرأة في العالم (وهي وسيلة ضغط على الدول الأخرى).

كذلك يجب ألا تتناقض تصرفات الدولة الخارجية مع قيمها. فسبب تراجع وهج الحلم الأمريكي هو حرب العراق والعدوان على أفغانستان واضطهاد حقوق الإنسان في السجون الامريكية ،ومن أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي أنه خالف مبادىء الحلم الاشتراكي الاستقلالي باحتلاله لافغانستان .

وهكذا يتضح أن القيم المتصلة بالحلم لتضمن دعمها خارجيا وداخليا يجب أن تكون قيم لا محلية حتى لا تقع في بئر التناقض والفئوية وهو بئر سحيق يهدد حلم الدولة حتى بعد تحقيقه.

هـ- ارتباط الحلم ببنية الشعب وتقاليده:

يجب في تكوين الحلم تواجد نوع من أنواع الترابط بين بنية الشعب وثقافته وتقاليده وبين طبيعة الحلم.

فكما سبق وذكرت يستحيل صناعة حلم إنجليزي يعتمد على توجه ثوري، لأن الشعب الإنجليزي شعب محافظ وغير ثوري وهادئ إلى حد البرود في طباعه وميراثه الثقافي ميراث ملكي.

بينما العكس ينطبق على شعوب أمريكا اللاتينية التي يعد ميراثها الثقافي ميراث ثوري يتضمن مئات الحركات العسكرية! لذلك الحلم في دول أمريكا اللاتينية يجب أن يتضمن الحماسة وبعض الطباع الثورية.

أما عن الوطن العربي فمعظم تكوينه الثقافي يميل إلى الحلم الخطابي الثوري القائم على الثورة البيضاء لعدم ميل الشعوب العربية للدم بشكل أساسي.

وعندما ندرس معظم الأحلام الآسيوية (حلم النمور الآسيوية، حلم اليابان، وحلم ماليزيا) نرى أن ميراث تلك الدول القائم على العمل الجاد وتقديس العلم هو ما شكل نوعية الحلم الهادئ القائم على العمل المتواصل وبنيته الأساسية (كما قال مهاتير محمد) هي التعليم.

ودرجة ارتباط الحلم بالكاريزما مرتبط أيضا بالميراث الثقافي. فالدول العربية بميراثها الثقافي الأبوي تربط بشدة بين الحلم والكاريزما، وكذلك مصر بميراثها الفرعوني تربط بشدة

بين الحلم والكاريزما. ولكن دولة كاليابان بميراثها الثقافي الذي لا يربط بشدة بين الفرد والنهضة (رغم الميراث التيوقراطي لليابان) جعلها لا تربط بشدة بين الكاريزما والحلم. وكذلك إنجلترا، فالشعب الإنجليزي صاحب الطابع البارد اللاحماسي، الواقعي يحترم الكاريزما ولكن لا يربط بينها وبين الحلم.

وهنا يأتي دور خطاب الحلم الذي يجب أن يراعي طبيعة ميراث الشعب الحضاري وبنيته وتقاليده (الفصل السادس خطاب الحلم) كذلك يجب أن يراعي الحلم علاقة الدين بالشعب. فالشعوب شديدة الارتباط بالدين (السعودي، الأمريكي المصري وغير هذا) يجب أن يتضمن الحلم بعض الوهج الديني (مع الحفاظ، على المسافة الفاصلة بين الدين والدولة بالطبع).

وهذا أذكر ثانية أن عبد الناصر ألقى خطابه في عدوان ١٩٥٦م من جامع الأزهر رغم التوجه العلماني للفكر الناصري.

بالإضافة إلا أن قيم الحلم تستمد من قيم الشعب الحالم.

فالحلم الأمريكي مثلا أخذ في الاعتبار طبيعة تقديس الشعب الأمريكي لقيمة حرية التعبير والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان (مع عدم التزام أمريكا بأي منها). والحلم المصري أخذ في الاعتبار طبيعة الشعب المصري الصبور الذي يرفض المهانة ويفعل المستحيل ويحقق المعجزات لأجل حفظ كرامته.

وهكذا يتضح لنا كيفية الربط بين الحلم وعادات وتقاليد وبنية الشعب الحالم.

و- القاعدة العامة:

١) الطبقة الوسطى – الشباب والأطفال:

القاعدة العامة التي ينتشر بين أفرادها الحلم من المفترض أن تكون الغالبة على البلاد. وبالطبع هنا يتضح أن الطبقة الوسطى هي الطبقة النموذجية لنشر الحلم بين أفرادها. لأن أفراد الطبقة الوسطى هم غالبية العاملين بالدولة الذين سيعملون لأجل النهضة.

كما أن التجربة أسببت أن القائمين على غالبية الأحلام القومية بما فيها الحلم الأمريكي، كانوا من أفراد الطبقة الوسطى . كذلك فغالبية المثقفين ومن يعرفوا بتكنوقراط الدولة من الطبقة الوسطى أساسا.

لذلك فالقاعدة العامة المثلى لأي حلم هي الطبقة الوسطى، وهذا يشير بالطبع لأهمية رفع مستوى أفراد هذه الطبقة عن طريق توفير التعليم النموذجي والرعاية الصحية الجيدة لأفراد الطبقة الوسطى.

أما عن القاعدة العمرية المثلى للحلم القومي فهي الأطفال والشباب. ومعظم الأحلام القومية استندت على الشباب (الحلم الأمريكي، الحلم الصيني، الحلم المصري، الحلم القومي العربي) بينما استندت التجربة اليابانية بالأساس على الأطفال (بين السابعة والثامنة عشر).

والسبب في اختيار الشباب يرجع إلا أن الشباب هم جيل الحاضر الذي يستطيع تحريك مجرى الأحداث دائما. ولو أن أحد ما لاحظ أن غالبية القاعدة العامة للمظاهرات تكون من الشباب. كما أن الشباب يملكون التصرف مع أدوات عصرهم بالتأكيد أفضل من غيرهم.

والنظر البعيد قليلا يقودنا إلى إدراك أن الشباب خلال عشر سنوات سيكونون أسرة وسيربون أولادهم إما على تحقيق الحلم وتكملة الدرب وإما على اليأس واللا إنتماء والرغبة في ترك الوطن وازدراء الحلم.

كما أن الشباب يشكلون أطباء ومهندسي وعلماء ومثقفي الغد القريب الذين يستطيعون العمل لتحقيق الحلم القومي. كما أنهم طاقة الوطن فلا الطفل ولا الكبير يستطيعوا العمل كالشاب أبدا إلا فيما ندر..

أما عن وجهة نظر اليابان في الاعتماد على الأطفال (والتي تفوقت بها على الجميع) فهي في أن الأطفال هم من سيشكلوا مستقبل اليابان في الجيلين أو الثلاثة القادمين، وللحفاظ على التقدم والمستقبل يجب أن نربي حاملي الراية في الزمن البعيد نسبيا على الحلم القومي وعلى عشق الوطن والمجتمع والتضحية والعمل الشاق من أجل المستقبل.

وهي مهمة جندت لها اليابان التعليم الياباني (الذي يعد الأفضل في أساليب التربية في العالم)، والإعلام الياباني الذي صنع ما يعرف بالأنمى (تصغير الكلمة الإنجليزية ANIMATION وتشير إلى الرسوم المتحركة اليابانية)، وتلك الرسم المتحركة مهمتها صناعة أفضل جيل أطفال يربى على احترام الآخر، وحل المشكلات بالطرق السلمية ونبذ العنف والتضحية حتى الموت من أجل الآخر. والدفاع عن الوطن حتى ولو كان ثمن ذلك التضحية بالحياة. وتجهيزهم ليكونوا علماء جيل ما بعد الإنترنت!

ذلك هو التفكير البناء لأجل صناعة القاعدة العامة المثلى للأحلام القومية ألا وهي الشباب والأطفال الذين سيصنعون الغد، وهم من سيكملوا مسيرة الحلم.

٢) الجميع يشارك في صناعة الحلم:

الحلم صناعة قومية أي يجب أن يشارك فيها كل فرد في الوطن وأن يشعر كل مواطن أنه شريك في صناعة الحلم بطريقة أو بأخرى.

فالطبيب شريك بعلاجه لباقي أفراد الشعب والمهندس شريك ببناه للمباني التي يسكن فيها أفراد الوطن. والممثل والفنان هم الذين يشاركوا بفنهم في نشر أفكار الحلم والأدب هو الأداة الثقافية الناشرة للحلم. وحتى الطفل الصغير والشاب الطالب في الجامعة يشعروا أنه بدراستهم وعلمهم يساهموا في رفعة الوطن وتقدمه وأنهم مستقبلا سيكونوا حاملي لواء الحلم.

تلك الوحدة والمشاركة تقرب أفراد المجتمع وتزيد مشاعر الانتماء لديهم للوطن وللهدف المشترك وللحلم. فعندما يشعر الفرد أنه جزء من مجموعة يتفاعل معها، يؤثر فيها وتؤثر فيه، فلابد من أن يصبح منتم إليها بطريقة أو بأخرى.

تلك هي روح الانتماء والوحدة التي تشكل الالتفاف الجامعي حول الحلم الواحد القومي. وهي شعور كل إنسان أن الأرض وطنه وأن الحلم القومي معها، يؤثر فيها وتؤثر فيه، فلابد من أن يصبح منتم إليها بطريقة أو بأخرى.

تلك هي روح الانتماء والوحدة التي تشكل الالتفاف الجماعي حـول الحلـم الواحـد القومي. وهي شعور كل إنسان أن الأرض وطنه وأن الحلم القومي الشامل حلمه. وهي صهر حلم الفرد في حلم الكل، وحلم الكل في حلم الفرد.

٣) المجتمع المدني والأدوات الثقافية:

من بين الأسباب التي جعلتني اربط بين المجتمع المدني والأدوات الثقافيـة؛ لأنهـا كلاهما وسيلة نشر الحلم. فمن ناحية المجتمع المدني بنشاطاته الكثيرة (الجمعيات اللاحكومية، المظاهرات، الاحتجاجات السلمية، استعمال الوسائل التكنولوجيـة وغيرهـا يـشكل قاعـدة جماهيرية داخلية وخارجية كبيرة للحلم).

وكذلك الأدوات الثقافية فالأدب والفن وسيلة نقل لأفكار وقيم الحلم القـومي للخـارج وللجاهلين به داخليا.

فالمجتمع المدني يجري حركات منظمة لدعم الحلم، منها المقاطعة للدول الخصمة أو إقامة مظاهرات تنديدية بأي تصرف مضاد لقيم الحلم أو إقامة حملات توعية داخلية بأهداف الحلم وهنا أتذكر قطار الرحمة الذي تضمن فنانيين مصريين يجوبون مـصر بقراهـا كلهـا لتعريف الفقراء والبسطاء بأهداف ثورة يوليو).

كما أن اليوم مع تطور وسائل الاتصال وسهولة انتقال الأفكار أيا كانت عبر العالم عن طريق شبكة المعلومات (الإنترنت)، يصبح من المهم الاعتماد على أفراد المجتمع المدني فـي نشر قيم الحلم عالميا عن طريق الإنترنت والمنتديات الإلكترونية المجموعات المنتشرة علـى المواقع الشهيرة.

والأدوات الثقافية كالأدب والفنون والسينما يمكن أن تحمل رسالة الحلم وقيمه عالميا. فعندما يترجم عمل قيم أدبي أو سينمائي أو مسرحي عالميا فإنه يدفع الآخـر إلـى قراءتـه والتعرف على قيم حلمنا وربما الانبهار بها وأحيانا (كما حدث في أمريكا في حرب فيتنـام) التصدي لخصوم الحلم القومي الاستقلالي وإن كانوا حكومة بلده.

ز- القوة الناعمة للحلم:

تقسم القوة الناعمة لأي دولة وأي حلم في العالم كما قسمها جوزيف ناي إلى ثلاثة أقسام:

١) الأدوات الثقافية.
٢) السياسة الخارجية.
٣) القيم الأخلاقية.

وقد سبق وذكرنا الثلاثة، فالأدوات الثقافية الأدب والفنون تكلمنا عن دورها في نشر قيم الحلم والإبهار بالدولة النموذج للحلم (كما فعلت أمريكا عندما ابهرت العالم بالنموذج الأمريكي عن طريق سينما هوليود) والسياسة الخارجية سبق وذكرنا دور الاهتمام بالمواقف الخارجية المناصرة لقيم الحلم في نشر الاحترام لدولة الحلم. وسبق وتكلمنا عن القيم الأخلاقية كأحد الركائز الأهم للحلم.

والآن بقي القول أن الثلاثة معا يشكلوا القوة الناعمة الأساسية لنموذج الحلم القومي داخليا وخارجيا. والحفاظ على ضلوع هذا المثلث يكفل - بإذن الله - نجاح الحلم وتحققه على الصعيدين الداخلي والخارجي على مستوى القوة الناعمة.

ح- المشروع الوحدوي:

المشروع الوحدوي هو مشروع يتحد فيه كافة أفراد الشعب من أجل الحلم المشترك. وصناعة هذا المشروع الوحدوي يجب أن تسبق صناعة الحلم ذاته، لأنها واحدة من أهم ركائز الحلم. ومكونات المشروع الوحدوي هي:

١) كاريزما يلتف حولها:

من جديد نعود إلى الكاريزما فهي الشخصية التي يلتف حولها جميع أفراد الشعب ويوحدهم عشقهم للكاريزما وتصديقهم لها حول هدفهم وحلمهم. وكما قلت سابقا - يبقى دور الكاريزما الأساسي هو في جعل بريق الشخصية دافع لتوحيد الجميع حولها .

٢) لا طائفية:

المشروع الوحدوي قائم على توحيد كافة أفراد الشعب حول الحلم؛ لذلك يكون من غير المعقول أن يكون هناك بعد طائفي للحلم. بل يجب أن تكون اللاطائفية الشعار الأساسي للمشروع الوحدوي القومي الذي لا يفوق بين أفراد الشعب على أساس عنصري إطلاقا أو فئوي بتاتا.

فعندما يشعر الفرد بعدم التمييز بينه وبين من حوله سيشارك معهم بشعور التساوي في تحقيق الحلم. وعندما تكسر حواجز الطائفية يصبح من السهل وحدة الغني والفقير، الطفل والكبير، الأبيض والأسود، المسلم وغير المسلم على هدف واحد وحلم واحد مشترك.

وهنا أعود لتذكر مباريات مصر، عندما أرى الجميع يشاهد المباراة، الغني في أشهر فنادق القاهرة مع عشاء بثلاثمائة جنيه والفقير في بيت محطم خشبي وبدون تسالي عدا الشاي. والأطفال يغنون لمصر والكبار يمسكون الأعلام ويرسمون علم مصر على وجههم، وتتلألأ ألوان علم مصر على الوجوه السوداء والبيضاء. وترى المسلمين وغير المسلمين متحمسون بجنون في وقت المباراة!

ورغم أن الأمر مضحك (عندما يصير حلمنا القومي وهو مباراة كرة قدم!) ولكنه يدل على أن اللا طائفية يجب أن تكون الشعار الغالب على الحلم لأنها لبنة بناء المشروع الوحدوي.

٣) إيجاد أرضية مشتركة:

الأرضية المشتركة هي شيء يشترك فيه أفراد الشعب أنها تشبه اللعبة، فعندما أقول لك ما الأرضية المشتركة بين لاعب الكرة الطائرة والسباح فلابد أن تكون الإجابة أن كلاهما يمارس الرياضة، وكذلك الأمر بالنسبة للشعوب فلابد أن تجد لصنع الحلم أرضية مشتركة بين أفراده.

والأرضية المشتركة تكون إما اللون أو الجنس (العرق) أو الدين أو اللغة أو القيم المشتركة أو الأهداف المشتركة أو العدو المشترك.

وسأبدأ باللغة:

فاللغة هي وسيلة التعارف والتقارب بين الناس، فقرب الإنسان من الآخر دائما يبدأ بالكلام ولذلك تشكل اللغة الأساس الحقيقي للتفاعل بين أفراد المجتمع.

ولذلك دائما ما تهتم المشروعات القومية باللغة. فالمشروع القومي العربي اهتم فيه عبد الناصر وبشدة باللغة العربية ولذلك غنى المطربين في الحقبة الناصرية باللغة العربية. وكذلك حرص المشروع الصهيوني على نشر اللغة العبرية لتكون أرضية مشتركة لملايين اليهود القادمين من دول وثقافات وحضارات مختلفة حول العالم.

واللغة هي خير أرضية مشتركة يمكن أن يستند عليها المشروع الوحدوي في أي دولة حول العالم لأنها الوسيلة المثلى للتقريب بين أفراد الشعب الواحد. ومن أسباب قبلية وفشل أحلام الوحدة في أفريقيا هو تعدد لغات كل قومية في أفريقيا.

ثم القيم المشتركة:

القيم هي نتاج العادات والتقاليد والأعراف لذلك المجتمع الواحد غالبا ما يكون قيم أفراده متقاربة إلى حد بعيد فالعرب قيمهم متقاربة بشكل أو آخر والغرب قيم أفراد الدولة الواحدة فيه متقاربة جدا.

لذلك فالقيم المشتركة سلاح هام يمكن الاعتماد عليه في صناعة المشروع الوحدوي ولكن يجب الانتباه إلى أنه ركيزة القيم المشتركة الأساسية هي الأعراف والعادات والتقاليد المشتركة. مما يعني ضرورة الحفاظ على الهوية الحضارية للدولة من أجل الحفاظ على رابط القيم المشتركة.

والآن انتقل إلى الأهداف المشتركة:

والأهداف المشتركة أرضية مصنوعة وليست طبيعية للحلم فالحلم هو صانع الأهداف المشتركة التي توحد أفراد الشعب حولها فهدف التقدم أو النهضة أو الحرية أو الاستقلال أهداف تصنع وتتولد مع الحلم ويكون دور الشخصية الكاريزمية جمع الأفراد جميعا حول الاهداف المشتركة.

وتلك الأهداف المشتركة تدفع الجميع للعمل معا من أجل هدف واحد فعندما يكون هدف فرقة ما التفوق على باقي الفرق يجب أن يتحد أفراد الفرقة من أجل التفوق (الهدف المشترك) وهذا هو حال الأهداف القومية فعندما يكون الجميع لديهم أهداف مشتركة (بالتالي مصالح) مشتركة) يتحد الجميع معا من أجل تحقيق هدفهم المشترك.

وهذه الوحدة أو الالتفاف حول الهدف المشترك تكفل التمهيد لجوهر المشروع الوحدوي وهو الاتحاد النفسي والوجداني والجسدي حول الحلم.

وأخيرا العدو المشترك:

وهو أيضا أرضية مشتركة غير طبيعية في الحلم. ولا يشترط أن يكون العدو خصم سياسي أو اقتصادي ولكن ربما يكون العدو كما أشرت سابقا التخلف والفقر والاحتياج وعدم تحقيق الاكتفاء الذاتي.

وهذا العدو المشترك يكرس دائما الكاريزما فكرة مواجهته ويوحد أفراد الشعب حول مواجهة العدو المشترك بكافة السبل الأخلاقية وعندما يشعر جميع أفراد الشعب أن عدوهم واحد سيقفون معا ضده وسيتحدون ضد العدو المشترك لهم.

واتحادهم حول العدو المشترك سيكون بينهم تدريجيا روابط تقارب وستجعل كل فرد فيهم يعمل مع الآخر بصورة تكامل من أجل هزيمة العدو المشترك.

وهذه الوحدة أو التكامل لأجل تحقيق الهدف المشترك وهزيمة العدو المشترك تقوي قلوب الأفراد وتدفعهم دفعا للترابط الذي يكرس لمفهوم المجتمع المتحد الذي يقوم على أساس المشروع الوحدوي.

وهنا يأتي دور المشاركة الجماعية في تحقيق الأهداف المشتركة وهزيمة العدو المشترك وبذلك تحقيق الحلم القومي. فعندما يتكافل الجميع ويتعاونوا كل في موقعه وبقدرته من أجل هدف واحد وحلم واحد يتحقق البناء المتكامل للمشروع الوحدوي.

٤) تحويل المجتمع إلى وحدته الأولى (العائلة):

الهدف الحقيقي للمشروع الوحدوي هو إعادة المجتمع إلى وحدته الأولى ألا وهي العائلة. فالمشروع الوحدوي يهدف إلى أن يشعر كل فرد بأن أرض وطنه كبيته وهو ما سينعكس على تصرفاته تجاهها من عدم تلويثها أو إلقاء القمامة فيها. وعندها يشعر المواطن بأن أموال الوطن وموارده ملك له كما هي ملك للآخرين حينها يحافظ عليها ويطورها.

وأهم شيء هو أن المواطن تدريجيا يشعر بأن المجتمع هو عائلته فعندما يحترم أو يساعد الكبير يشعر بأنه كوالده أو والدته. وعندما يحافظ على طفل في الشارع يشعر بأنه أخاه وعندما يجازف بحياته لأجل إنقاذ شخص في حريق يشعر أنه ينقذ أهله من الموت.

هذه الروح هي البناء الحقيقي للوحدة والقومية ومحبة الوطن، وصناعة حلم قومي والسعي لتحقيقه حتى النهاية. روح العائلة ولكن الخلل الحقيقي عندما تكون العائلة فاقدة لمغزاها وهو ما نعانيه الآن.

وعلاقة الفرد بالعائلة هي كعلاقته بالمجتمع علاقة أخذ وعطاء. ولذلك يتوجب إصلاح منظومة المجتمع والوطن حتى يصبح الوطن والمجتمع معطين للفرد أو يصير الفرد جزء من المجتمع ويصير علاقة المجتمع بعضه ببعض بنيته الأولى كعلاقة العائلة.

(في هذا الفصل تحدثنا عن ركائز الحلم التي تضمن له الوجود وفي الفصل القادم (الفصل الثالث) سنتحدث عن مقويات الحلم).

ثالثا: مقويات الحلم:

هذه الفصل هو عبارة عن النصائح والإرشادات اللازمة لتقوية وتعزيز الحلم القومي.

أ-الأخلاق:

البعد الأخلاقي للحلم هو أحد مقوياته. فعندما يعتمد الحلم على التصدي للتصرفات الخاطئة (كالاحتلال أو التدخل في شئون الدولة الداخلية أو استخدام القوة الغاشمة) من شأنه زيادة إيمان الأفراد بصحة الحلم وقيمه وضرورة السير على الخطى التي تكمل التقدم

والرخاء. إن الأخلاق هي الركيزة الحقيقية للحلم وهي أيضا أحد عوامل تقوية إيمان الأفــراد الحقيقي به. فبالتأكيد أن الفرد عندما يشعر بأن ما يدافع عنه صحيح وأخلاقي سيقوي هذا من إيمانه بالدفاع عنه "الحلم هو مبدأ، وما يصنع مبادئ مكانتها هو الأخلاق".

ب- القوة الناعمة:

أنا آسفة حقا على تكرير هذا العنصر عدة مرات في هذه الدراسة، ولكن حقيقة فــإن الحلم هو نوع من أنواع القوة الناعمة (الداعمة للتقدم) وهو أيضا يرتكز على القوة الناعمة في النشوء وأيضا أهم وسائل تقوية الحلم هي القوة الناعمة.

فمثلث الأدوات الثقافية (الإعلام والأدوات والتكنولوجيات والأدب والفنون) والسياسة الخارجية والقيم الأخلاقية هي حقا وسائل تقوية نفوذ الحلم كتوجه سياسي وحضاري داخليــا وخارجيا.

فالضلع الأول (الأدوات الثقافية) كما سبق وذكرت يعد الطريقة المثلى لزيادة انتــشار وشهرة الحلم (خارجيا وداخليا) فهو تعرف كل فرد في العالم بطبيعة الحلم وقيمة أهدافه (وكما ذكرت مسبقا ما حدث في حرب فيتنام عندما دعم الأمريكيون حلم استقلال فيتنام).

والأدوات الثقافية تزيد من المدافعين عن الحلم والداعمين له والمتعاطفين معــه فــي كافة البقاع المعمورة. ومما لا شك فيه أن كسب المؤيدين بكافة الصور هي شيء يقــوى أي من انواع التوجه السياسي أو الحضاري إذا فهو بالطبع يؤيد الحلم القومي ويقويه ويزيد نفوذه، ويجعل الكل بما فيها الدولة الخصمة تضع له ألف حساب.

أما الضلع الثاني (السياسة الخارجية) فسبق وتحدثنا عن أن المواقف الخارجية للدولة الحالمة هي موقعها الأساسي خارجيا. وذكرنا نماذج – فيما سبق – لمواقف أمريكا ومــصر (في حقية الحلم القومي) والاتحاد السوفيتي التي قوت من مكانة هذه الدولة وكنتيجة قوت من مكانة أحلامها القومية.

والضلع الثالث والأخير (القيم الأخلاقية) تحدثنا عنه في النقطة السابقة وفي الفصل السابق وذكرنا مدى أهمية إيمان الفرد (داخليا وخارجيا) بالبعد الأخلاقي للحلم الذي يكفل تقوية مكانة الحلم ونفوذه وتقوية الإيمان الحقيقي به والعمل من أجله.

ج- صناعة ثقافة الأمل المتجدد:

هذه النقطة هي الأهم على الإطلاق لإبقاء الحلم واستمراره حتى تحققه، فسبب سقوط معظم الأحلام القومية هو عدم قدرة الحلم على الحفاظ على الأمل المتجدد حتى مع الفشل (الفصل السابع: مسقطات الحلم) فسقوط الحلم القومي العربي سببه هو عدم قدرة القائمين عليه على الحفاظ على الحلم القومي بعد الفشل (هزيمة ١٩٦٧) مما نتج عنه سقوط الحلم القومي العربي ومؤيديه تدريجيا حتى وأد الحلم القومي العربي قبل بلوغه. وهو نفس ما حدث مع حلم سلفادور إليندي في الاشتراكية التي تنجح عبر صناديق الاقتراع لا الثورات وهذا الحلم سقط مع سقوط إليندي.

لذلك أهم جزء يجب أن يحرث للحلم هو قابلية الحلم لتجديد الأمل مع الفشل (وهي أحد مواصفات الحلم الياباني) فالمواطن الياباني يكره الفشل ولكن يصر على النجاح حتى مع الفشل.

والحلم القومي يجب أن يستند على جوهر اللا يأس حتى بعد الفشل، فعندما نفشل مرة هذا لا يعني الفشل الأبدي ولكنه يعني ضرورة المحاولة مرة ثانية حتى بلوغ النجاح.

. وهنا يأتي دور زرع ثقافة التحدي، فهذا معنى تحدي الفشل، فعندما تتحدى الفشل يكون لديك أمل متجدد في النجاح وهذا هو جوهر الطريق للنجاح. وهنا أتذكر أحد الحكم الإنجليزية التي تقول: "إن النجاح هو الانتقال من فشل إلى فشل بدون فقدان الأمل".

نقطة الضعف القاتلة لأي حلم أن يحطمه الفشل أو الخوف من الفشل، والحل لانهاء هذا الضعف هو زرع الإيمان المتجدد في إمكانية تحقيق الحلم.

وهكذا يعيش شعار مصطفى كامل: "لا يأس مع الحياة، ولا حياة مع اليأس" وعلى فكرة هذا هو الشعار الذي أسس الحلم المصري الوطني للاستقلال وهو الذي جعل الحلم

يستمر حتى بعد وفاة مصطفى كامل وجعل مصر تحصل على إعلان الاستقلال بعد وفاة مصطفى كامل (بعد أربع وعشرين سنة من وفاته).

د- ثقافة الحلم طويل المدى:

ثقافة الحلم طويل المدى هي أن يكون الحلم مقتنع شعبه بأنه لن يتحقق بين ليلة وضحاها ولكن ربما سيتحقق في نصف قرن.

وهي مواصفات الحلم الياباني والحلم الأمريكي والحلم الصيني ولذلك نجد أن الثلاثة نجحوا نجاحا باهرا، لأن الصبر هو ركيزة الحلم الأولى.

وهناك قاعدة شهيرة في دنيا الأعمال تقول أن المشروع الذي يربح على المدى البعيد تكون أرباحه مضاعفة. ويعرف أن معظم المشروعات التي تحقق أرباح خيالية اليوم (المطاعم الشهيرة والكاميرات وغيرها) كانت مشروعات خاسرة وأمضت سنوات خاسرة ولولا إصرار مؤسسيها لما كانت اليوم بهذا اللامعان والشهرة.

والأحلام هي مشروعات ولكنها مشروعات معنوية أكثر منها مشروعات مادية. والحلم مشروع طويل المدى فالهند نهضت من القاع للقمة في نصف قرن، واليابان نهضت من التدمير إلى الصناعة العالمية والمركز العالمي في نصف قرن أيضا وقامت الصين (التنين الأصفر) من منامها في نفس المدة السابقة.

وهنا يظهر أن فكرة المدى البعيد هي فكرة صناعة حلم قومي ناجح واليابان حتى الآن تربى النشأ على عدم اليأس من الفشل والتكملة، وأن يضعوا نصب أعينهم على الأقل ربع قرن لتحقيق أحلامهم مهما كانت بسيطة ولا يخافوا أو ييأسوا مهما بدت مستحيلة(ملحوظة صغيرة: كل هذه القيم تقدم في الأدنى (الرسوم المتحركة)!)

وهكذا يجب علينا صناعة ثقافة الصبر والانتظار وبعد النظر في حلمنا القومي. فهدفنا يجب أن يوضع دائما كهدف طويل المدى، أي أن نزرع الأمل والإصرار والاستمرار على خطا الحلم في الأجيال الكبيرة والأهم في الأجيال الناشئة – فكما قلت سابقا- هؤلاء هم المحققين الحقيقيين للحلم في النصف قرن القادم.

هـ- تجديد دماء الحلم:

تجديد دماء الحلم هي ألا يتوقف الحلم عند الأجيال الحالية وهنا يتضح أهمية الاعتماد على النشأ. فالحلم يموت عندما يموت من يحملوه، وكل إنسان لابد وأن يموت ذات يوم؛ لذلك لا مفر من جعل الأجيال الكبيرة تزرع الحلم فى الأجيال الصغيرة، وعندما تكبر الأجيال الصغيرة تغرس الحلم في الأجيال الصغيرة حتى يستمر الحلم ولا يموت.

أي أن يصبح هناك تفاعل دائم بين الشباب والأطفال وبين الحلم القومي. وهذا يتطلب أن لا يكتفي الكبار بالعمل لأجل الحلم، بل أن يتواصلوا مع الصغار أيضا ويعطوهم الفرصة في المشاركة في صناعة الحلم، وقبل ذلك زرع مشاعر الحلم والحماس له داخلهم.

وبالطبع يفترض بنا أن نشارك النشأ أفكارهم، فالنشأ – بعيد عن كونهم جيل الغد – يملكون طاقات خاصة بهم لا يملكها الكبار.

فالنشأ يكونون عادة أكثر حماسة واندفاعا وطموحاً من الكبار (لصغر سنهم) وهذه الصفات تجعلهم يمتلكون مواهب ابتكارية وإبداعية أعلى من الكبار.

عندما يشعر النشأ بأنهم جزء من الحلم فإنهم حتماً سيشاركون في صياغته وبنائه وعندما يحلوا محل الكبار مستقبلاً سيكونون شديدي الإيمان به وأكثر عملا على تحقيقه، وسينقلون ما تعلموه من رعاية الجيل الأصغر إلى الأجيال الأصغر منهم.

وهنا أتذكر إحدى العبارات التي وردت في الأنمي على لسان إحدى الشخصيات لمسلسل ياباني شهير يسمى (ناروتو): "الأجيال الأصغر دائماً أكثر موهبة من الأجيال الأكبر، تلك هي سنة الحياة".

و- لا مركزية الحلم وفك الارتباط بين الكاريزما والحلم:

لا مركزية الحلم هي ألا يكون الحلم فئوي مرتبط بقادته وحسب، وأن لا يكون الحلم مرتبط لدرجة التوحد مع الكاريزما القائدة له، فإذا ما سقطت يسقط معها الحلم كله.

فك الارتباط بين الحلم والكاريزما يضمن استمرار الحلم بعد وفاة الكاريزما، فربط الحلم القومي العربي بشخصية عبد الناصر الكاريزمية كانت خطيئة كبرى أدت إلى قتل الحلم القومي العربي بعد وفاة عبد الناصر.

ومع أن مصطفى كامل كان شخصية كاريزمية فإن الحلم المصري الوطني لم يمت بعد وفاته، لأنه لم يرتبط به ارتباطاً وثيقاً، ارتبط بالرغبة الحقيقية في الاستقلال لدى المصريين. وهناك نقطة هامة يجب ذكرها هنا هي أن مهاتير محمد استقال عام ٢٠٠٣ لكي لا يسقط الحلم الماليزي بعده وحتى لا يرتبط استمرار نجاح الحلم الماليزي باستمرار مهاتير محمد.

ولضمان استمرار الحلم القومي بعد سقوط أو وفاة الكاريزما، يفترض بنا أن نوجه الشعب نحو الرغبة في الحلم أكثر من التبعية لقائد الحلم، حتى إذا ما سقط القائد بقى الحلم، لأنه هو الأساس.

وهذا الدور يقع أيضاً على عاتق الكاريزما فعليه أن يقلد مهاتير محمد ويترك السلطة بعد تحقيق جزء من الحلم حتى يترك المجال لبقية الجيل ليحل محله ويقود الحلم وحتى لا يرتبط الحلم به ارتباطاً وثيقاً.

وهكذا يضمن أنه إن سقط الكاريزما فإن الحلم سيستمر ولن يسقط.

ز- ديمقراطية الحلم والصياغة المشتركة له:

سبق وذكرت أن المشروع الوحدوي السابق للحلم يحتاج أن يشعر كل فرد فيه أن الحلم ملك له وأنه يشارك بشكل أو آخر في تكوينه وصياغته وتحقيقه.

وهذا شيء يقوي مركز الحلم ويحميه من الفئوية والانغلاق على التكنوقراط والكاريزما والكبار. فعندما يشعر كل واحد أنه يساهم في صناعة وصياغة حلم سيشعر أنه يرغب في تحقيقه وسيسعى بكل ما في وسعه لإنجاحه.

لذلك يجب أن يتحلى الحلم بالديمقراطية وأن يشارك كافة فئات المجتمع في تحقيقه وصياغته، فيشارك فيه الرجال والنساء، الأطفال والشباب والكبار، الاشتراكيون والرأسماليون، القوميون والوطنيون، المسلمون والمسيحيون، واليهود.

تلك الديمقراطية والمشاركة تجعل الجميع يلتف حول الحلم، والوحدة حول الحلم مما لا يدع مجالاً للشك تقويه وتزيد من فرص تحقيقه.

م- تقوية روابط المجتمع:

تلعب روابط المجتمع دور هام في المشروع الوحدوي، فهي التي تضمن تماسك المجتمع واتحاده، وكما سبق وذكرت فإن المجتمع عندما يعود لوحدته الأولى (العائلة) يصبح كل فرد شاعراً بأهمية الآخر، يكون كل فرد مستعد للتضحية من أجل الآخر.

في المقابل إذا انفكت روابط المجتمع وأصبح كل فرد معنى فقط بشئونه الخاصة فهذا يؤدي إلى سقوط المجتمع كله. وينتج عنه التهرب من التجنيد والتهرب من الخدمة الاجتماعية وكراهية الآخر، ومخالفة المرور وارتكاب الجنح والجرائم مادام الفرد يضمن ألا يتعرض للعقوبة، وأن لا يعبأ الفرد بالآخر أياً كان ما سيصيبه.

وبالطبع الصفة القومية للحلم تحتاج إلى مجتمع مترابط يصل إلى مستوى الوحدة الأولى (العائلة) حيث يصير الفرد مستعداً للتضحية بابنه في الحرب من أجل أمان ابن الآخر في المستقبل.

روابط المجتمع القوية في الحالة الأولى تكفل صناعة ثقافة التضحية واللاطائفية، فعندما أتخذ من المسيحي المصري أخ لي والمسيحية المصرية أختاً لي حينها سيكون مجتمعنا مترابط. يجمعه الفكر القومي الغير عابئ بالاختلافات الطائفية أياً كانت.

وبذلك يتحقق مفهوم المشروع الوحدودي، ويتحد كافة أفراد المجتمع كعائلة واحدة حول هدف واحد وحلم واحد هو الحلم القومي.

وهكذا يصير الحلم القومي مرتكز على أرض صلبة هي أرض الوحدة، المجتمع الواحد والهدف الواحد والحلم الواحد.

ط- الحفاظ على المشروع الوحدوي بعد تحقق الحلم:

ما يسقط الحلم الأمريكي الآن هو سقوط المشروع الوحدوي مع تحقق هيمنة أمريكا على العالم، وانفصال الأفراد عن بعضهم البعض في الأهداف وغلبة الفكر الرأسمالي الماديعلى الفكر القومي الوحدوي.

فما بني النموذج الأمريكي هو مشروع روزفلت وجونسون الذي عرف "بالأمة العظيمة" وهو ما قوي الحلم الأمريكي وأعطاه بريقه العالمي. أما ما فعله ريجان ببدء عصره بسياسات رأسمالية طاحنة ومحاولته صناعة مجتمع العشرين بالمائة فاحشى الثراء والثمانين بالمائة شديدي الفقر أدى إلى اضمحلال الحلم الأمريكي لسقوط المشروع الوحدوي.

هذا النموذج يوضح لنا خطورة التخلي عن المشروع الوحدوي بعد تحقق الحلم، فالتخلي عنه يهدد بفناء الحلم كله وتدمير الدولة معه.

لذلك لا مفر من حماية المربع الذهبي للمشروع الوحدوي "اللغة، القيم المشتركة، والأهداف المشتركة، والعدو المشترك". بالإضافة لأهمية الحفاظ على روح مجتمع العائلة الذي يشعر فيه الفرد بأن كل فرد في المجتمع هو جزء من عائلته.

الحفاظ على المشروع الوحدوي ضرورة للحفاظ على الدولة والحلم حتى بعد بلوغ الحلم. ولنتذكر أن أمريكا بعد أن صارت الأقوى في العالم وصارت إمبراطورية لا حدود لتأثيرها، صارت الآن مهددة بالسقوط لأن مشروعها الوحدوي سقط. وإني لأظن بأن ما سيسقط الصين (القوة العالمية المقبلة) هو عدم صناعة بنية متحدة قوية للصين حتى الآن وأن معظم شعبها يعاني من شعوره أنه ليس جزءاً من الحلم الصيني.

رابعاً: خطاب الحلم:

خطاب الحلم هو واجهة الحلم، ومن المعروف أن خطاب الحلم مهمة إلقاءه تقع على الكاريزما، وفي هذا الفصل سأتناول المفردات الأساسية التي يجب أن يحتويها خطاب الحلم.

أ- مرادفات زرع الثقة بالنفس:

خطاب الحلم من الضروري أن يحوي مرادفات تزرع الثقة بالنفس داخل الشعب، فكما ذكرت قبلاً – أن من أهم ركائز الحلم شعور الشعب بقدرته على تحقيق المستحيل.

ومشكلتنا اليوم هي فقدان معظم شعبنا لثقتهم بأنفسهم فجميع المصريون لديهم ضعفاء وأغبياء وغير قادرين على التقدم، وفاسدين ومصر بالنسبة إليهم (حسب تعبير أنيس منصور في وصفه لمصر أمة استفحل بها المرض وانتهى عمرها الافتراضي!).

هذه هي مشكلتنا ازدراء الذات وافتقاد الثقة بالنفس وعدم قدرتنا على الثقة بتحقيق الممكن حتى لا المستحيل. ومهمة القائد أو القائدة هي زرع الثقة داخل الشعب بقدراته وأنه ليس أقل مكانة ولا مهارات من أي شعب آخر.

وهنا يذكر شعار أوباما طاول حملته الانتخابية "نعم، نستطيع" وهي عبارة تعبر عن توجه أوباما الذي يريد منه زيادة ثقة الشعب الأمريكي في قدرته على تجاوز الأزمة.

وأيضاً أتذكر أن سبب نجاح هتلر وتقدم ألمانيا السريع للغاية في فترة حكمه هو أن هتلر زرع الثقة في النفس للشعب الألماني لدرجة إعادة فكرة أن الألمان هم أعلى شعوب الأرض.

وهكذا يتضح أهمية استعمال مرادفات توحي بالقدرة على تحقيق الحلم (كخطاب أوباما). وهذه المردفات مثل: "نستطيع تحقيق المستحيل" "لا يوجد مستحيل" "نستطيع صناعة مستقبلنا" "نستطيع تحقيق أحلامنا مهما صعبت".

وأذكر الآن جزء من خطاب عبد الناصر في مناسبة افتتاح السد العالي حيث قال إنه يشهد تحقيق حلم الأمة العربية عندما تصمم على تحقيق حلمها.

وهذا هو نوع الخطاب ومرادفاته التي تزيد الثقة بالنفس. وبالطبع فإن الواثق من نفسه يحقق حمله أفضل من من لا يثق بنفسه ويعتقد بأنه لا يستطيع تحقيق حلمه.

ب- زرع الأمل وازدراء اليأس:

مرادفات زرع الأمل هي واحدة من المرادفات الغاية في الأهمية داخل الخطاب، لأنها تعطي دفعة للشعب، فعندما يشعر الإنسان أن ما يفعله سيكون له نتيجة حقيقية يدفعه هذا العمل، كالطالب الذي يشجعه معلمه ويخبره أنه ليس غبياً وأنه – بإذن الله – بالعمل سيتفوق، أي أن المعلم يغرس فيه الأمل وعندما يشعر الطالب باليأس لتدني مستواه يشجعه معلمه ويخبره بأن هناك أمل في التفوق.

"الروح العامة للشعب هي الهدف الحقيقي للخطاب". فالروح العامة للشعب المصري يائسة وهذا اليأس يدفعنا إلى اللاعمل (إيماناً بأن العمل لن يجدي) وهذه الروح هي مصدر معظم مشاكلنا.

لذلك يكون دور الكاريزما بث الأمل في تحقيق الهدف وازدراء اليأس وهنا أتأمل عبارة في خطاب أوباما للشعب الأمريكي حيث قال: "أثق بأن حلم المؤسسين الأوائل سوف يتحقق". وأعيد شعار حملة أوباما: "نعم، نستطيع" لأن هذا الشعار في حد ذاته يبث الأمل في نفوس الشعب الأمريكي.

وقد قال أوباما عن الأمل في تحقيق حلم تغيير أمريكا وعدم اليأس الآتي:

"لقد قيل لنا أننا لا نستطيع فعل ذلك بأصوات كثيرة، هذه الأصوات ستزداد وتكثف في الأسابيع والشهور المقبلة، وطلب منا أن نصمت أمام صوت الواقعية وهددننا أن نعرض أمل خاطئ لأفراد هذه الأمة ولكن في هذه القصة الغير حقيقة توجد أمريكا، لا يوجد شيء خطأ عن الأمل. في وقت أن واجهنا عيون خاطئة، عندما قيل لنا أننا لسنا مستعدين ولا يجب أن نحاول وأننا لا نستطيع، أجيال أمريكا قالت ما يلخص ما في أرواح الأمريكيين: "نعم، نستطيع" ".

علاوة على اللهجة الحماسية لهذا الجزء من خطاب أوباما نجد عبارات كـ "لا يوجد شيء خطأ في الأمل" و "نعم نستطيع" وهي عبارات تلخص رد أوباما على دعاة اليأس الذي تحدث عنهم في خطابه الشهير "نعم نستطيع" وفي خطابه يوم تنصيبه حيث قال عن الأمل في تحقيق الحلم: "ثمة شيء لا يمكن قياسه بهذه الطريقة لكنه ليس أقل عمقاً وهو الثقة المعدومة

والخوف الملح بأن تقهقر أمريكا لا مفر منه وأن الجيل المقبل يجب أن يخفف من تطلعاته" "اليوم أقول لكم بأن التحديات التي نواجهها فعلية، إنها خطرة وكثيرة، لن نتغلب عليها بسهولة أو في فترة قصيرة ولكن فليدرك الشعب الأمريكي أننا سنتغلب عليها".

العبارة الأخيرة تشير إلى أن الأمل في التغلب على الصعاب مهما كانت والأمل في تحقيق الحلم.

وهنا أعود لخطابات عبد الناصر التي كانت تحوي نفس النغمة في الحديث عن الأمل. هو كان رمز الأمل ورمز الحلم المصري هو السد العالي وهنا أذكر عبارة من خطابه عن بناء السد العالي:

"هنبني السد العالي، وسنحصل على حقوقنا المغتصبة، هنبني السد العالي زي ما أحنا عايزين، هنصمم على هذا".

هذه العبارة تعبر عن الأمل في تحقيق رمز الحلم هو السد العالي، ولا شك أن طريقة إلقاء وصياغة العبارة تحمل كثيراً من الإصرار الملازم للأمل.

أرجو أن أكون قد أوضحت ما أعنيه بمردفات الأمل وازدراء اليأس، وأعود لأقول أن الأمل هو الذي يبث الثقة في نفوس الشعب بأن الحلم الذي يعمل لأجله سيتحقق وأن جهده وتضحياته لن تضيع سدي.

روح الأمل هي ما نحتاجه اليوم، لأن اليأس المسيطر علينا هو ما يدفعنا بعيداً عن الحلم، بل إن الجيل الجديد (الذي من المفترض أن يحمل الطموح والآمال في الغد) فقد الأمل وصار يائساً وبلا طموح وهذا ما يجعله يبتعد عن حلمه شيئاً فشيئاً. وعندما يفقد المرء الأمل يفقد بالتبعية القدرة على الحلم، وبالطبع من لا يملك القدرة على صياغة حلم شخصي بسيط، لن يستطيع المشاركة في صياغة حلم قومي.

أتمنى أن يكون شعار الكاريزما التي تقود الحلم هو نفسه شعار أوباما عندما تحدث عن التحديات "فليدرك الشعب الأمريكي أننا سنتغلب عليها". وهو نفسه شعار عبد الناصر عندما قال: "هنبني السد العالي".

هـ- زرع روح التحدي:

عندما يمتلك الشخص الثقة بالنفس والإيمان والأمل في الغد، لا ينقصه سوى روح التحدي ليتغلب على الواقع ويصنع مستقبل مشرق محققاً أحلامه الخاصة والعامة.

وكذلك الشعب، فالشعب مجموعة بشر عندما يمتلكوا الإيمان والثقة بالنفس والأمل في الغد ولا ينقصهم سوى روح التحدي حتى يتحقق حلمهم القومي في الاستقلال والتقدم.

ويصبح خطاب الحلم مكتمل أركانه الأساسية بزراعة روح التحدي لدى أفراد الشعب. وهذه الروح تزرع عن طريق اللهجة الحماسية والعبارات الحماسية التي توحي بتحدي العدو حتى ولكن ذلك العدو التخلف والتبعية السياسية أو الاقتصادية.

وهنا جزء من خطاب عبد الناصر في الجامع الأزهر الذي يحمل لهجة التحدي والإصرار على النصر على الأعداء الثلاثة في العدوان الثلاثي على مصر:

"أيها الأخوة، لقد فرض علينا القتال، سنقاتل ولن نستسلم، مصر ستقاتل لآخر قطرة من دمائها، كل واحد من أبنائنا زي صلاح مصطفى وزي مصطفى قاسم، كلنا سنقاتل لآخر قطرة من دمائنا في سبيل بناء بلدنا وفي سبيل بناء مصر لن نمكن منا تجار الحروب، لن نمكن منا المستعمرين، لن نمكن منا تجار البشر، سنعتمد على سواعدنا وعلى دمائنا".

قد يقال أن من الطبيعي أن يحمل خطاب قبيل حرب لهجة تحدي، ولكن هذا الخطاب حمل نفس لهجة التحدي التي يحتاجها أي حلم قومي، لا ننسى أن طباع الشعوب العربية هي أنها تزداد تحدي وحماسة وإصرار على الحلم إذا ما شعرت بأن هناك عدو يهددها ويهدد استقلالها وكرامة شعبها بالذات.

وعلى كل حال مرادفات التحدي سمة مشتركة في كافة الخطابات القومية حتى في الدول الديمقراطية الميراث كأمريكا وأعود هنا لجزء من خطاب أوباما حيث قال عبارة تحمل لهجة التحدي: "تعلم أن القتال طويل، ولكن تذكروا أن أياً كانت العقبات التي في طريقنا لا شيء يستطيع أن يقف أمام ملايين الأصوات التي ترغب في التغيير".

ولنلاحظ هنا دمج شعار أوباما الأساسي (التغيير) مع لهجة التحدي التي توحي بالقدرة على النصر وهنا نلاحظ استعمال كلمة (قتال) وهي كلمة تعبر عن روح التحدي.

وعودة إلى الجزء السابق من خطاب عبد الناصر نرى استعمال عبد الناصر لكلمة (قتال) مثل أوباما وزيادة عليها أضاف عبد الناصر الأفعال المشتقة من قتل وهي نقاتل وتقاتل (مصر). علاوة على استعمال عبد الناصر عبارة "لن نمكن منا تجار الحروب، لن نمكن المستعمرين، لن نمكن منا تجار البشر" وهي عبارات توحي بأننا سننتصر في التحدي ولن نُهزم، أي أنها تعبر عن الأمل وروح التحدي والثقة بالنفس في آن واحد.

ومن شرحنا لمرادفات القتال في النموذجين السابقين يتبين لنا الآتي:

١) أن (القتال) كلمة مشتركة وهي إذاً الروح الحقيقية اللازمة للحلم القومي (وهنا يقصد بالقتال التحدي أياً كان نوعه).

٢) أن الثقة بالنفس والأمل وروح التحدي ثلاثة ضلوع لمثلث خطاب الحلم ولا يوجد أحدهما منفرداً دون الآخر في لهجة خطاب الحلم القومي.

٣) أن مرادفات التحدي والأمل والثقة بالنفس مشتركة بين الأحلام الديمقراطية (كما يحلو للبعض تسميتها والأحلام الراديكالية (كما يحلو أيضاً للبعض تسميتها).

وأخيراً يتأكد لنا مما سبق أهمية وضرورة صياغة خطاب الحلم محتوياً لهجة حماسية ولهجة تحدي وأمل وثقة بالنفس، لأن تلك الصياغة هي التي تحرك الشعب حتى أفراده البسطاء نحو القتال والتضحية والفداء والعمل من أجل الحلم القومي.

<u>د- عبارات ارتباطيه بالحلم:</u>

مما لا شك فيه أن خطاب الحلم يجب أن يحوي عبارات ومرادفات تذكر فيها كلمة حلم ليس فقط تعبيراً عن أن التوجه المطلوب هو الحلم والأماني ولكن لوضع الشعب في حالة نفسية معينة يستطيع معها أن يشعر ويحلم ويتمنى ويصر على تحقيق الحلم.

وأشهر نموذج على ما أقول عنوان الخطاب مارتن لوثر كينج الأشهر وهو عنوان الأغنية الأمريكية هامة جداً وهو "لدي حلم" بعيداً عن محتوى الخطاب الذي يعبر عن حلم "الحريات المدنية الكاملة للسود في أمريكا، فإن الخطاب يحوي عبارات يذكر فيه كلمة حلم".

ويكفينا الشعار "لدى حلم"، الشعار ذاته شعارا مرهفاً هادئاً خاصاً يأخذ العقل والقلب بعيداً ويسافر حيث يمكن للإنسان أن يحلم بما يراه غير واقعي ومستحيل على متن سفينة الحياة.

ولا شك أن في وقت إلقاء خطاب "لدي حلم" كانت فكرة وجود رئيس أسود لأمريكا يمكن أن يقال عنها أنها جنون.

ولكن ما يعنينا نحن هنا هو أن اختيار العبارة حيث تتضمن كلمة حلم قد كان ملهماً لكثير من القادمين بعد اغتيال مارتن لوثر كينج حتى يحققوا حلمه.

ولأن كلمة حلم نفسها تحمل بريقاً خاصاً بها يشعر به أكثر النشيء وبخاصة الشباب، فإن كلمة حلم تحمس وتشجع وتدفع الشباب دفعاً نحو العمل والتحدي والإصرار.

قد يبدو الأمر تافهاً ولكن روح الحلم هي المحرك الرئيسي، لتحقيقه وتلك الروح تكمن في التحدي والعمل والثقة والإيمان والقدرة على الشعور بكلمة حلم وتمني تحقيق ما وراءها.

<u>هـ- مرادفات تستهدف الشباب:</u>

الأكثر قدرة على تلقي الخطاب الاستماع له هم الشباب والخطاب السياسي الناجح بصفة عامة هو ما ينجح في بلوغ الشباب. فالشباب هم القاعدة الأكثر أهمية في تلقي الخطاب، فكما سبق وذكرت هم جيل الغد الذي سيستلم حكم البلاد وهم أيضاً آباء وأمهات الأجيال القادمة.

يفضل أن يكون الخطاب سهل اللغة، ليس معقد اللغة بحيث يصعب على الشباب فهمه. وهنا نلاحظ أن غالبية خطاب عبد الناصر حوت نصف الكلمات عامية ونصفها الآخر لغة عربية، ونلاحظ أيضاً أن اللغة الإنجليزية المستخدمة في خطابات أوباما شديدة البساطة بحيث يسهل على أي أمريكي شاب أن يفهم معناها.

كما أن من الملاحظ أن من أهم أسباب نجاح أوباما هي لجوءه للشباب الذي كان معروفاً عنهم أنهم لا يشاركون البتة في الانتخابات بأصواتهم. والوسيلة التي ابتعها أوباما في تبليغ الشباب بفحوى خطاباته هي الحاسب الآلي وشبكة المعلومات (الإنترنت) والرسائل الإلكترونية.

إن لغة هذا الجيل الشاب يجب أن تراعي في الخطاب، لا أقول أن يقال كلمات من اللهجة الشبابية في خطاب سياسي! ولكن أقول أن مراعاة المرادفات التي يفضلها الشباب ضرورة.

ويفضل تقليل المصطلحات والمرادفات القديمة أو العلمية الصعبة على الجيل الشاب. وعدم الاستخفاف بالشباب والتركيز على الكبار.

بجوار المرادفات يوجد المنظر العام فالكاريزمات الشهيرة حرصت على أن تكون ملابسها بسيطة قريبة الشبه بما يرتديه الشباب. وجون كيندي وأوباما حرصوا على الظهور بشكل قريب من الشباب وخير دليل على ذلك أن أوباما يرتد الملابس الرياضية ويمارس البيسبول حرصاً منه على الظهور بمظهر قريب من الشباب.

ومما سبق يتضح لنا ضرورة مراعاة طريقة توجيه الخطاب يتناسب الشباب، وضرورة مراعاة سهولة الألفاظ، وأهمية مراعاة ظهور الكاريزما القائدة للخطاب في مظهر ملائم وقريب من الشباب.

و- ذكر الأمثال العليا وربط الماضي بالحاضر بالمستقبل:

الأمثال العليا هم الأفراد الذين فعلوا الكثير وضحوا من أجل الحلم القومي، وهؤلاء لا يجب أن يكونوا شخصيات شهيرة بل من الممكن أن يكونوا شخصيات بسيطة جداً ضحت وقدمت الكثير من اجل أوطانها.

وذكر هؤلاء في الخطاب ضرورة، لأنه يوضح للفرد أن هناك من قدموا أكثر مما قدم هو من أجل الهدف الذي يصبوا إليه، وليعلم هذا الفرد أن هناك من ضحوا في الماضي ليرتاح

هو في الحاضر، وعندما يشعر الفرد أن هناك من قدم له، فلابد أن يعطي هو أيضاً ويقدم لغيره ليحيى سعيداً في المستقبل.

وسأذكر مثالاً بسيطاً هو حكاوي الكبار للصغار في الدول المحتلة عما قدمه أجدادهم من تضحيات واستشهاد من أجل أن يحيي هؤلاء الصغار حياة سعيدة وهذه القصص تدفع الصغار عندما يكبروا على أن يضحوا ويستشهدوا من أجل حياة أفضل لأبنائهم وهكذا.

والخطاب الحالم يجب أن يحوي ما يشبه هذه القصص عن بطولات الأمثال العليا من اجل تحقيق الحلم، فماذا يحدث لو حكينا قصة الأبطال البسطاء في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م عندما ماتوا وهم مازالوا في شبابهم ومنهم من هم حديثي الزواج؟ ماذا يحدث للفرد المصري عندما يدرك أن آلاف من المصريين استشهدوا لأنهم كونوا يلقوا بأنفسهم فوق الدبابة ليدمروها ماذا يحدث لو علم كل مصري بأن شباب مدنين كانوا فرقاً مسلحة مدبرة من قبل أجهزة الأمن المصرية من أجل هزيمة الإسرائيليين عام ١٩٧٣؟

أنا عن نفسي دهشت عندما علمت أن جدي قد كان ضابط شرطة عادي في عام ١٩٥٦ تطوع من أجل القتال في بورسعيد وكان يخبئ السلاح تحت سرير جدتي!!!

هؤلاء أشخاص عاديون ولكن الخطاب الحالم يجب أن يذكر تضحياتهم الجليلة من اجل تحقيق هذا الحلم، لأن الفرد المصري سيدرك أن أشخاص عاديين مثله ساهموا في حماية الحلم بأرواحهم وأبنائهم وكل ما كانوا يملكون.

وعندما يدرك الفرد المصري البسيط هذا سيسعى ليفعل ما يستطيع من أجل ذلك الحلم. وهنا أتذكر أن أوباما قال عن شعاره "نعم، نستطيع" "كانت همسة العبيد في ظلام الليل" "نعم نستطيع"، كانت مقولة المهاجرين عندما أبحروا للغرب "نعم نستطيع".

بعيداً عن شعار أوباما نلاحظ حرص أوباما على ذكر الأمثال العليا البسيطة وهي العبيد والمهاجرين الأوائل.

ونلاحظ أيضاً من سياق العبارة السابقة أن أوباما يربط بين ماضي الولايات المتحدة وحاضرها ومستقبلها.

والأمثال العليا غالباً تمثل الماضي والجمهور يمثل غالباً الحاضر وما سيفعله الجمهور وأبناؤه يمثلون المستقبل.

ولا مشكلة من ذكر الأمثال العليا التي تحولت إلى رموز قومية كجميلة بوحريد في الجزائر، وروزا باركس في أمريكا، وصلاح مصطفى بمصر (وقد ذكره عبد الناصر في خطابه) وعبد العاطي صائد الدبابات وإبراهيم الرافعي قائد الفرقة ٣٩ قتال في مصر، وأيضاً يمكن ذكر كاريزمات العصور السابقة كأمثال عليا مثل لنكولن في أمريكا، وجان دارك في فرنسا، ومصطفى كامل وسعد زغلول وعرابي في مصر.

استعمال الأمثال العليا وسيلة ناجحة (بإذن الله) ليدفع الشعب للاقتداء بهم من أجل تحقيق حلمه القومي.

ز- زرع الكرامة:

لابد أن يشعر الكاريزما شعبه بأن به كرامة، وأن لا أحد يحق له المساس بها وأن عليه أن يقاوم من أجل حفظ هذه الكرامة من الإهانة والإذلال والاحتقار.

هذه الكرامة هي ما تدفع الشعب لرفض إهانته بالتبعية السياسية أو الاقتصادية، فالإنسان الذي ربي على الكرامة (كما ذكرت قبلاً(يرفض أن يصرف أهله عليه ويفضل أن يكون مستقلاً مالياً ومعنوياً عنهم.

والشعب الذي تزرع فيه الكرامة يرفض التبعية رفضاً باتاً ويحارب بشدة حتى يحافظ على استقلاله الاقتصادي والسياسي، ودور الكاريزما رفع روح الشعب وزيادة ثقة بنفسه، لأن الواثق من نفسه يكون أكثر رغبة في الاستقلال، وأكثر شعوراً بالكرامة ورفضاً للإهانة.

وأتذكر هنا العبارة التي هوجم عليها عبد الناصر كثيراً ألا وهي: "أرفع رأسك يا أخي، فقد مضى عهد الاستعباد".

تلك العبارة تجسد الشعار الذي يجب إتباعه في خطاب الحلم من بث الشعور بالكرامة والعزة ورفض الإهانة والاستغلال والتبعية بكافة صورها.

هـ- الرغبة في التغيير:

الرغبة في التغيير والتقدم هي شعار كافة أحلام الإنسانية، فالإنسان يحلم دائماً بالتقدم والتغيير من وضعه الحالي، والرغبة في التغيير تغلب على معظم – إن لم يكن كل – الأحلام القومية. ومرادفات الرغبة في التغيير ضرورة لغرس تلك الرغبة في نفوس الشعب الذي سيصر على التقدم والتحسين من مستواه لرغبته في تغيير وصنعه إلى الأفضل.

والغريب هو اتفاق خطاب أوباما وخطاب عبد الناصر اتفاقاً تماماً في هذه النقطة، مما يجعلنا ندرك أن كافة الأحلام القومية بكافة أشكالها تتفق في رغبتها في التغيير.

فبينما يقول عبد الناصر في إحدى خطاباته:

"بنقول يسقط الاحتلال ويسقط الاستعمار، ويحي الاستقلال معناه إيه الكلام ده؟ معناه إننا عايزين نتحرر لنغير بلدنا وإذا أردنا أن نغير هذا البلد يكون التغيير لصالح هذا الشعب العامل".

ويقول أوباما:

"في الأصوات الانتخابية ظهرتهم وتحدثهم للتغيير بأصواتكم جعلتوه واضح أن في هذه اللحظة هناك شيء ما يحدث في أمريكا" "التغيير هو ما يحدث في أمريكا الآن" "مواطني الولايات المتحدة يمكن أن يعملوا التغيير".

مما سبق يتضح لنا أن كلا الخطابين يكرروا كلمة التغيير) أكثر من مرة، وإن كلاهما يحتوي الرغبة في التغيير وان كان كل خطاب يحتوى تلك الرغبة بما يناسب طبيعة الحلم القومي في كل حالة.

الرغبة في التغيير هي الدافع الحقيقي للإنسان ليحلم وليعمل من أجل تحقيق حلمه. تلك الرغبة تقع مهمة زرعها على الكاريزما الذي يقود الحلم عن طريق زرع مرادفات وعبارات كالسابقة تغرس تلك الرغبة في نفوس الشعب.

وبذلك يعمل الشعب ويحلم من أجل التغيير ومن أجل صياغة وتحقيق حلمه الخاص القومي.

ط- مرادفات مرتبطة بطبيعة الحلم:

سواء أكان الحلم راديكالي أم ديمقراطي، اشتراكي أم رأسمالي، سياسي أم اقتصادي، هذا كله يحدده مرادفات خطاب الحلم، فالحلم الاقتصادي يحوي مرادفات اقتصادية والحلم السياسي يحوي مرادفات سياسية، والحلم الراديكالي يحوي مرادفات راديكالية، والحلم الديمقراطية يحوي مرادفات ديمقراطية، والحلم الاشتراكي يحوي مرادفات اشتراكية والحلم الرأسمالي يحوي مرادفات رأسمالية.

فنحن نلاحظ تكرار كلمات (الأمة - القومية - الوحدة - العدو - الفقراء) في الخطابات الحالمة الراديكالية، بينما نلاحظ تكرار الحديث عن الحقوق المدنية والمساواة وحقوق الإنسان والبيئة والتعددية في الخطابات الديمقراطية الحالمة.

وإذا أخذنا مثالاً للخطابات الاشتراكية نرى خير نموذج الخطاب الناصري، وقبل أن نذكر بعد عبارة من عبارات الخطاب الحالم الناصري الاشتراكي سأقول بأن معظم خطابات شافيز (رئيس فنزويلا) تتحدث عن الفقراء وعن الوجه القبيح لأمريكا (العدو في الفكر الشافيزي والإشتراكي بشكل عام)، وليس خفياً على أحد أن شافيز كان يطلق على بوش الشيطان وعامة السباب للشخصيات الظالمة سمة من سمات الخطابات الراديكالية، وكلمات التقليل من الاشتراكية وازدرائها واحتقارها في أحيان كثيرة سمة من سمات الخطاب الحالم الرأسمالي العولمي.

والآن نعرض بعض مما قال عبد الناصر عن الفقراء والاشتراكية: "الاشتراكية شريعة العدل هي شريعة الله تمنع الاستغلال وتمنع الاستبداد".

ومما سبق يتبين لنا أن الخطاب الاشتراكي بشكل عام يستعمل كلمات كـ "العدل" و "الاستقلال" و "فقير" و "دماء الشعوب" و "الحقوق" "العدالة" الاجتماعية.

والكلمات السابقة تعبر عن جوهر الحكم الاشتراكي القومي الذي يرفض الاستغلال وامتصاص دماء الشعوب الضعيفة، واستغلال الفقراء وإضعافهم واستنزاف حقوق الشعوب المقهورة.

وهنا أعرض جزء من خطاب آخر عبد الناصر (راديكالي قومي) "مش عيب إني أبقى فقير وأحاول عشان استلف وأبني بلدي وأحاول أجد مساعدة عشان أبني بلدي لكن العيب إني أنا أمتص دماء الشعوب وامتص حقوق الشعوب، ده العيب".

وعودة إلى الحلم الديمقراطي لدينا بعض نقاط من خطب أوباما:

١) الاهتمام بالعالم والبيئة.
٢) الاهتمام بحقوق المرأة والإنسان.
٣) الاهتمام بالقيم الأخلاقية للنموذج الأمريكي.
٤) الاهتمام بذكر قيم المؤسسين الأوائل.
٥) الاهتمام بالحديث عن المجتمع المدني ونشاطاته.

والنقاط الخمسة السابقة هي أهم الملحوظات المرتبطة بديمقراطية الحلم الأمريكي في خطاب الحلم لدى أوباما، وهذه النقاط نخرج منها النتيجة الآتية:

"أن قيم الخطاب الديمقراطي هي أهم مرادفات الخطاب الحالم الديمقراطي مثل: حقوق الإنسان، المجتمع المدني، البيئة، الأخلاق، الانتخابات وغيرها".

وفي المجمل يتبين لنا أن الخطاب الحالم أياً كان توجهه السياسي يجب أن يحتوي مرادفات تعبر عن هذا التوجه السياسي أو الاقتصادي للحلم.

ي- الخطاب يجب أن يكون مرتبطاً بثقافة الشعب وحضارته وتاريخه:

سبق وأن أشرت لهذه النقطة من قبل، حيث ذكرت أن طبيعة الحلم يجب أن تتوافق مع طبيعة الشعب، وكذلك طبيعة الخطاب يجب أن تكون متوافقة مع عادات الشعب وتقاليده وثقافته.

فشعوب العالم النامي تميل للخطاب الحماسية أكثر من شعوب العالم المتقدم، لأن الأولى الروابط الاجتماعية فيها أقوى والمناخ العام مناخ عاطفي، وقد عبر عبد الناصر عن هذا الأمر بقوله "نحن شعب عاطفي".

والشعوب العاطفية تميل للكلمات الغريبة البسيطة والحماسية والأهم التي تنبض بالصدق والحلم لا الواقعية، بينما على العكس منها الشعوب الباردة (كالشعب الإنجليزي) يميلون للمرادفات العقلانية، والواقعية.

والخطاب يجب أن يراعي طبيعة الشعب في مرادفاته، كذلك هل الشعب مائل للمصالح الفردية أم للمصالح العامة؟ وهذا يأتي دور ذكاء الكاريزما في تحديد المرادفات التي توحي بالمنفعة والمصلحة العائدة على الفرد من الحلم في الحالة الأولى. أما في الحالة الثانية فعلى الكاريزما إيضاح الفوائد الجماعية والتي تعود على المجتمع كله وعلى الدين والوطن من تحقيق الحلم.

وعن الدين (وهذه نقطة غاية في الأهمية) يجب مراعاة مدى ارتباط الشعب بالدين، ففي حالة أمريكا فرغم أن دستورها علماني فإنها تحوي شعباً مرتبطاً بالدين إلى حد ما وهذا ما يستغله الحزب الجمهوري في حملاته الانتخابية دائماً.

ففي مصر والدول العربي يجب مراعاة البعد الديني، لأننا شعوب ترتبط بشكل شديد بالدين، لذلك يجب مراعاة أهمية المرادفات والدلالات الدينية في خطاب الحلم مع الحفاظ على مدى محدد بين الدين والحلم حتى لا ينتقل لحلم ديني.

وهنا أذكر – للمرة الثالثة – أنه رغم التوجه العلماني للخطاب الناصري فإن عبد الناصر حرص على إلقاء خطاب عدوان ١٩٥٦م من الجامع الأزهر النقطة التالية هي عادات وتقاليد المجتمع، فهل المجتمع محافظ بشكل مفرط؟ أم مجتمع متقبل للانفتاح على الآخر أكثر؟

إن هذا السؤال سيفهم حتماً خطأ، ولكن ليفهم السؤال بشكل صحيح سأسأله بطريقة أخرى. هل يستعمل الأفراد طريقة محترمة (بإطلاق الألقاب) مع بعضهم البعض كالمجتمع الياباني أو الإنجليزي أم لا يصنعوا أي ألقاب كالمجتمعات العربية؟

في الحالة الأولى يجب مراعاة أن لا يكون قائل الخطاب منفتحاً بشكل عائلي في خطابه أما في الحالة الثانية فيجب أن يكون الكاريزما يتحدث بلهجة صداقة أو بلهجة عائلية والمفضل اللهجة العائلية، لأنها تجعله أكثر قرباً من الأفراد البسطاء وتجعلهم أكثر استجابة له، فالمجتمعات العائلية تفضل الخطاب الذي تشعر فيه بقربها من الخطيب عائلياً.

أما النقطة الأخيرة وليست الآخرة فهي القيم الاجتماعية للشعب، فمرادفات الخطاب الحالم يجب أن تحوي القيم الأخلاقية للشعب، مثل حمل الخطاب الحالم الياباني لقيم العمل الشاق والاجتهاد المستمر لبلوغ الهدف والتضحية من أجل المجتمع.

ومثل حمل الخطاب الحالم الأمريكي لقيم تقبل الآخر وحقوق الإنسان والمرأة والديمقراطية، وتكافل المجتمع المدني، وأخيراً وليست آخراً أن الحلم المصري حمل قيم المواطن المصري الحقيقي المتمثلة في الصبر والتحمل والكرامة والعزة وعزة النفس والتكافل الاجتماعي والفداء وعشق الوطن.

حاولت ذكر أهم النقاط التي تربط بين ثقافة المجتمع وحضارته وبين خطاب الحلم ولكن لم أغطها كلها، ولكن في الجمل يمكن القول بأن اختيار مرادفات خطاب الحالم تبدأ بدراسة طبائع الشعب.

<u>ك- زرع مفهوم العمل المشترك:</u> (ملحوظة تابع ديمقراطية الحلم والصياغة المشتركة له).

يقصد بذلك أن يحوي الخطاب عبارات توحي بالعمل المشترك في إطار ما يعرف بمنظمات وأفراد المجتمع المدني.

أي أن يساهم الجميع في الحلم، يتحد الكل بما يستطيع بفعل أنشطة غير حكومية لأجل تحقيق الحلم وهنا أذكر أن أوباما في خطاب القاهرة للعالم الإسلامي أشار بأنه سيحول يوم ١١ سبتمبر إلى يوم للنشاطات التطوعية.

وأهمية احتواء الخطاب على هذه النقطة هي أنها تضمن اتحاد أفراد المجتمع حول الحلم، فعندما يشارك الجميع بنشاطات لا علاقة لها بالحكومة في صناعة الحلم، فإن هذا يجعلهم يلتفون بقوة حول الحلم.

وهذه النشاطات يمكن.أن تكون المنتديات السياسية والثقافية والفكرية علـــى الـــشبكة المعلومات. ويمكن أن تكون الدعوة لدعم الحلم عبر المجموعات الإلكترونية، ويمكن أن تكون الدعوة لدعم الحلم عبر المجموعات الإلكترونية، أو إرسال رسائل إلكترونية عن أهداف الحلم وتوجهاته وتطلعاته.

ويمكن أن تكون هذه النشاطات هي التكافل الاجتماعي في صورة الجمعيات المدنيـــة الغير حكومية التي ترعى الفقراء والمساكين والمحتاجين واليتامى ويمكن أن تكون حمـــلات توعية للبسطاء بأهمية الحلم القومي وأهدافه.

كما يمكن أن تكون تلك الأنشطة هي ندوات علمية وسياسية مـــن الـــشباب الـــصغار لطرح أفكار تكفل تطوير الحلم وتحسينه، أو منتديات لتبادل الخبرات في تحسين العمل لتحقيق الحلم.

أو ببساطة يمكن أن تكون العمل الجاد كلٌ في مجاله لاجل تحقيق الحلم، أياً كان نوع العمل الذي سيفعله فرد المجتمع المدني، فهو في النهاية سيكون قد حقق الهدف الرئيسي مـــن خطاب الحلم ألا وهو الاتحاد الجماعي حول الحلم وتحقيقه ومشاركة الجميع فيه حتى عامـــل النظافة.

ل- المشروع الوحدوي:

الخطاب مهمة بث روح الوحدة وعدم الانقسام داخل المجتمع المخاطب، وتقع مهمـــة رسم المشروع الوحدوي والتمهيد له على عاتق الكاريزما ملقى الخطاب الحالم.

فأولاً عليه أن يهتم بجعل الجميع ملتفين حول الحلم حيث يكون الخطـــاب لا فئـــوي وقابل للاستقبال عند غالبية أجنحة وظائف المجتمع ويحمل اللهجة القومية التي توحد جميـــع الأفراد حول الهدف الواحد المشترك ومجابهة العدو الواحد المشترك.

وهنا أذكر نموذجاً جزءاً من خطاب أوباما يتحدث فيه عن وحدة الأمـــريكيين علـــى اختلاف أفواههم وأديانهم وعروقهم وتوجهاتهم السياسية ضد عدو حيث قال: "ندرك جميعـــاً إننا في خضم أزمة أمتنا في حرب ضد شبكة واسعة من العنف والحقد" وهذه العبارة تنـــوي

مفهوم العدو المشترك كما أن نون الجمع في أول الأفعال توحي بالعمل الجماعي لجميع طوائف الشعب لمواجهة العدو المشترك.

وهنا جزء آخر من خطاب يتحدث فيه عن وحدة الأمريكيين رغم اختلافاتهم، "نحن لسنا مفرقين كما يقترح سياسيونا ولكننا شعب واحد، نحن أمة واحدة ومعنا سيبدأ الفصل التالي العظيم في القصة الأمريكية".

وهذه العبارة بالإضافة إلى الحماسة والعمل اللذان تحملهما، فإنها تحمل كثيراً من المعاني التي توحي وتدل بل وتغرس وحدة الأمريكيين رغم شتى فروقهم.

علاوة على العبارات والمرادفات التي تحمل طابع الوحدة، يجب توافر مرادفات مشتركة، توحي بوجود أرضية مشتركة بين الجميع، وأهم هذه المرادفات هي الطباع العامة التي تميز غالبية الشعب، واللغة التي توحده، علاوة عن الحديث في الخطاب عما يجمع الكل.

ففي الحديث عن الأديان الثلاثة يجب ذكر أن جميعهم يؤمنون بالله باليوم الآخر كما قال أوباما، وفي الحديث عن الأقليات في الدولة يجب ذكر أنهم ما يشتركون به مع الأغلبية سواء اللغة أو الدين أو العرف أو الأعراف وأهم شيء الوطن.

أهم شيء يستند إليه في الأرضية المشتركة هو اللغة وقبلها الوطن، الوطن هو الأرض التي يعيشون عليها هي أهم ما يجمعهم هذا شيء مهم يجب التأكيد عليه دائماً في الخطاب.

مما يعني ضرورة تكرار اسم الوطن كثيراً داخل الخطاب، وبعيداً عن أن هذا يزيد مكانة الوطن وحبه فهو يزيد فرص الإيمان بأنه دائماً هناك أرضية مشتركة هي الوطن.

وعلينا أن ندرك أن انقسام السودان – إن حدث – سيكون سببه عدم التركيز على قيمة الوطن مما يؤدي إلى انسحاب الوحدة لحساب الطائفية والفئوية.

فكل ما يوحد السودانيون هو السودان ربما الشمال مختلف لغة وعرقاً وديناً عن الجنوب ولكن يجمعهم السودان، ولكن فقد قيمة الوطن ومغزاه في السودان في الخطابات الحالمة وهو أما أنتج هذا الانقسام.

أخيراً وليس آخراً زرع روح التضحية في خطاب الحلم، فالأمثال العليا والتضحيات الماضية ذكرها الدائم في الخطاب يعزز من ورح التضحية من أجل الآخر، كذلك مرادفات كـ "من أجلكم، من أجل مصر، في سبيل مصر، لأجل مستقبل أبنائنا، لأجل المجتمع، التضحية، الفداء، القتال، الشهادة، شهداء، مضحين، أوفياء، مؤسسين، معاناة الآخرين من أجلنا" وغيرها من المرادفات التي توحي بالتضحية كفيلة بزرع روح التضحية من أجل الآخر والمجتمع عند الأفراد.

وروح التضحية هي ما يقيم – كما سبق وذكرنا – مجتمع الوحدة الأولى (العائلة) وهذا المجتمع يصنع المشروع الوحدوي الذي بدوره يمهد لصناعة الحلم القومي.

ومما سبق أرجو أن أكون قد أوضحت الطريقة المتبعة لصياغة روح التضحية عبر مرادفات خطاب الحلم.

أرجو أن أكون قد استوفيت في هذا الفصل الفكر الأساسية لصياغة خطاب حلم قومي فعال وناجح ويحمي حلمنا القومي من السقوط ومن أن يظل سجيناً للخطابات الرنانة، والحكم الفارغة.

وفي الفصل الأخير من هذه الدراسة أتناول مسقطات الحلم القومي.

خامساً: مسقطات الحلم:

أ) هزيمة من قبل عدو:

إن ما دمر الحلم القومي العربي هو هزيمة ١٩٦٧م، وما دمر الحكم النازي الألماني كان هزيمة هتلر في الحرب العالمية الثانية.

إن الهزيمة للإنسان وفشله في تحقيق النصر قد تزعزعه عن المضى في طريقه لتحقيق حلمه، لذلك يجب أن تزرع فيه روح الإصرار والتصميم حتى مع الهزيمة، فاليابان هي الأخرى هزمت في الحرب العالمية الثانية لكن الحلم الياباني بنفس مواصفاته الأولى ولكن ببعض التعديلات نجح في انتشال اليابان من بحور الضياع وفقدان الحلم بعد الهزيمة.

وفي كافة الأحوال، فإن الهزيمة تبقى المدمر الأكثر شراسة للحلم القومي وفي أحسن الأحوال فإنه الهزيمة تؤدي لهزة قوية في جدران الحلم القومي.

ورغم أن ألمانيا قامت بعد هزيمتها وأعادت استعادة قوتها بالتدريج، إلا أن تحقيق الحلم الألماني أخذ طابعاً آخر غير النازية (مع استمرار تأثير الفكر النازي إلى حد كبير في العقل الجماعي للشعب الألماني).

وفي مصر أدت هزيمة ١٩٦٧م إلى تدمير ونسف الحلم القومي العربي وربما نقطة الضعف القاتلة التي أدت إلى تدمير الهزيمة للحلم القومي العربي هي الإفراط في تعظيم الذات والاستحقاق بالخصم.

وبعيداً عن أن السببين السابقين كانا من أسباب الهزيمة، فإنهما أيضاً سبباً صدمة شديدة للإيمان بالحلم، لأن الفرد بدأ يظن أنه أضعف كثيراً مما كان يظن وذاك كان المنفذ الذي دخلت منه عوامل اليأس، وفقدان الثقة بالنفس وازدراء الذات وتعظيم الآخر، والاستسلام للتبعية والضعف.

وبالتالي هذه العوامل أدت إلى فقدان الحلم لروحه وأساسياته وبالتالي سقوطه التدريجي، بالإضافة إلى أن الهزيمة أسقطت الإيمان بالحلم وجعلت الكل يشعر بأن الحلم كان خطأ، والأمل كان خطيئة.

هذه العوامل التي تخلفها – أي هزيمة – هي أهم أسباب سقوط الحلم القومي.

ب – سقوط الكاريزما أو الأمثال العليا:

كما قلنا سابقاً فإن الكاريزما هي من يقود الحلم القومي ويزرع بذوره داخل الشعب، والأمثال العليا هي من تعطي القدوة التي يفترض للشعب إتباعها لطريق تحقيق الحلم.

لذلك فإذا ما سقطت الكاريزما مادياً (بالتصفية الجسدية) كما حدث مع الليندي وجون كيندي فإن هذا يؤدي إلى سقوط الحلم إذا كان شديد الارتباط بالكاريزما (الفصل الثالث: مقويات الحلم) ولكن إذا ما كان الحلم غير مرتبط بقوة الكاريزما فإن التصفية الجسدية لا

تؤدي إلى سقوط الحلم كما حديث مع غاندي وأنديرا أغاندي وعمــر المختــار وجــان دارك وغيرهم.

أو أن تسقط الكاريزما بالموت الطبيعي كـ "عبد الناصر" أو "تيتو" وهذا أيضاً يسبب فقدان الحلم إذا ما ارتبط بالكاريزما. أما الموت الطبيعي لـ "ليو تولستوي" فلم يؤدي إلى وفاة حلم توليستوي لأن الحلم التوليستويّ لم يكن مرتبط بتوليستوي أو ربما لأن الحلم ظهر بعــد توليستوي واتخذ من توليستوي مثلاً أعلى.

أما الطريقة الثانية لتصفية الكاريزما وأيضاً تصفية الأمثــال العليــا هــي التــصفية المعنوية، وتعني أن يسقط الكاريزما أو المثل الأعلى بإظهار فساده أو علاقاتــه الجنــسية أو خيانته لبلده. وهذه التصفية كفيلة بوأد الحلم حتى وإن لم يكن شديد الارتباط بالكاريزمــا. لأن هذه التصفية تجعل الفرد يؤمن بأن الحلم كذب وتجعله يفقد إيمانه بأهداف الحلم وأحياناً تجعله يزدري الحلم والوطن والمجتمع الحالم بأكمله.

وفي الحالتين الأولى والثانية فإن الحلم يتأثر بشدة بما يحدث للكاريزما والأمثال العليا بل ربما يسقط أو ينزوي لسنين طويلة وربما عقود حتى ينسى الأمر ويظهر كاريزما وأمثال عليا جديدة بلا خطيئة وأيضاً تستفيد من أخطاء من سبقوها وتفصل بين نفسها وبــين الحلــم، حتى إذا ما ماتت أو اغتيلت لا يقضي على الحلم بل يستمر.

جـ - ضعف القيم المصاحبة للحلم وتناقضها مع السياسة الخارجية أو الداخلية:

يعني ذلك أن لا تنفذ قيم الحلم و تناقض أفعال القادة مع هذه القيم، وأقرب نموذج لما أقول ما فعلته أمريكا في حرب فيتنام وما فعلته أمريكا في حقبة بوش الابن.

فبدء ضعف الحلم الأمريكي كانت مع بداية إدراك الشعب الأمريكي وشعوب العــالم بضعف وكذب قيم الحلم الأمريكي من خلال سياسات أمريكا الخارجية ثم الداخلية.

فخوض أمريكا لحرب فيتنام جعل المواطن الأمريكي يزعزع اعتقاده بإيمان أمريكــا بالديمقراطية وحقوق الإنسان وحق تقرير المصير، وخوض أمريكا لحــرب العــراق أســاء

لصورتها الذهنية في العالم أجمع وداخل أمريكا حيث بدأ الجميع يبني صورة عن نفاق أمريكا بشان قيمهما الأخلاقية وخاصة مع معرفة العالم لما يحدث في معتقلي أبو غريب وجونتانامو.

هذه الصورة الذهنية السيئة لأمريكا التي تنتج عنها زعزعة صورة القيم الأخلاقية للحلم الأمريكي أضعفت وهجه داخلياً وخارجياً وأدت إلى بدء سقوط الحلم الأمريكي.

وهنا أذكر عبارة ذكية وبليغة لأوباما عندما تحدث عن إغلاق معتقل جونتانامو حيث قال: "تخلي الولايات المتحدة عن قيمها هو أكبر تهديد لأمنها القومي ورغم أن العبارة أخذت على أنها محاولة لحماية موقفه من إغلاق معتقل جونتانامو إلا أنها حقيقة تعبر عن الواقع، حيث أن تخلي أي دولة عن القيم الأخلاقية لحلمها القومي تهدد بسقوط الحلم القومي بأكلمه.

ونموذج آخر لما أقوله هو أن غزو الاتحاد السوفيتي لافغانستان أدى إلى سقوط بريق الحلم الاشتراكي السوفيتي عالمياً كمدافع ومحارب لأجل استقلال الشعوب الفقيرة والضعيفة.

ومن هذه النماذج يتضح لنا أن سقوط القيم الأخلاقية أو عدم تنفيذها داخلياً أو خارجياً يؤدي إلى سقوط الحلم.

و- تفشي الظلم والفساد والتمييز:

قلت أن من أهم ركائز الحلم هو الحفاظ على قيم المساواة والعدل (الفصل الثاني: ركائز الحلم) ولهذا فالظلم والفساد والتمييز يسقطون الحلم.

فعندما يشعر الفرد بأنه بلا حقوق في وطنه والحقوق تذهب لمن لا يستحقه بالفساد أو الرشوة أو الواسطة أو التمييز العنصري أو بالمال، فإنه حتماً سيكره وطنه وسيتحول لشخص يريد صالحه الفردي فسحب، وسيصير فرد بلا طموح وربما يأد أحلامه في مهدها.

وهذا النوع من الأشخاص (الذي سيشكل المجتمع بأكمله) مستحيل أن يحمل حلماً جماعياً أو أن يشارك أحد حلمه ومستحيل أن يحب الوطن ويضحي بصدق لأجله وبالتالي لن يستطيع أن يصيغ حلمه أو يحققه أو أن يساعد في تحقيق أي حلم قومي.

وعندما تستطر روح الفردية ويفسد كل شخص ويظلم الآخر نتيجة لظلم أحد له أو فساد المنظومة الشاملة ينتج عن هذا اجتثاث روح النقاء والعدل من الحلم والأفراد وهكذا يجف الحلم حتى يسقط تماماً في بحار الفساد والظلم.

هـ- ضياع الانتماء والهوية وانتشار اللاقومية والطائفية والتمييز:

الانتماء للأرض أو الوطن أو الثقافة هو ما يصنع القومية والوحدة بين أفراد الشعب على اختلاف ألوانهم وأديانهم وأعراقهم، فكلهم يتجمعون على أرض واحدة وتحت سماء واحدة وهذا ما يوحدهم ويجعل لديهم انتماء مشترك.

وأذكر أني شعرت بالانتماء لمدرستي بصدق عندما مثلتها في أحدى المسابقات حينها شعرت بأني أنتمي لرمزها أعمل لأجله، وكذلك هو الوطن ننتمي لأرضه وشعاره ويوحدنا مهما اختلفنا علمه وشعاره الذي يرفرف داخلنا.

وهذا الشعار الذي يجمعنا يجعل لدينا هدف مشترك وحلم واحد -عندما يزرع داخلنا- هو حلمنا القومي في تقدم ونجاح ورفع اسم الوطن الذي نشعر حينها بأننا جزء منه وأنه يوحدنا.

ولكن عندما نفقد هذا الشعور وعندما يشعر كل منا بأنه ينتمي لذاته وأن لا يجمعنا شعار واحد، وعندما نشعر بأن لا قيمة للأرض التي نحيا فوقها حينها تتقاطع طرقنا وتتصادم أهدافنا ونفقد حلمنا المشترك بل ربما نفقد حلمنا الخاص.

ضياع الانتماء يجعل كل فرد يعيش في جزيرة منعزلة عن الأخر، لا يهمه ما يحدث له حتى وإن قتل، لا يجعل أحدا يهتم بالوطن ولا بحمايته ويجعله يرغب في تركه لأجل تحقيق أحلامه الفردية.

واللاوحدة والطائفية واللاقومية والتمييز يبدأوا بالانتشار تدريجياً داخل نسيج الشعب فلا يعود قادر على الاجتماع حول الحلم القومي ولا يعود قادراً على وضع حجرة واحدة في أساس المشروع الوحدوي.

تبدأ الطائفية في أكل الأفراد، فتذهب كل فرقة للاتحاد لأجل الانعـزال عـن الفرقـة الأخرى، فيتحد أصحاب الدين المشترك معاً على أصحاب الأديان الأخرى، ويتحد ذوي اللون الواحد لينعزلوا أو يتصدوا لأصحاب الألوان الأخرى.

وهكذا تبدأ الفئوية والطائفية ثم الفردية بالانتشار وتصبح كل مجموعة ذات حلم خاص بها لا تبالي أن تعارض حتى إن دمر حلم الأخرى، ثم ربما يصبح لكل فرد حلم خـاص ولا يعنيه ما يصير لحلم الآخر.

وحينها يفقد الحلم القومي روح الوحدة ويسقط ولا يعود له وجود.

أما الهوية فهي تعبر عن شخصية الشعب وهي التي تعطي الحلم صفته، فهوية الشعب تشكل هوية الحلم، أما إذا ما فقد الشعب هويته عن طريق التغريب أو التشريق عـن طريـق العولمة فهذا يؤدي إلى سقوط هوية الحلم.

فما يميز كل شعب ويجعل لديه ذات خاصة به وهوية تميزه عن الآخر هو تاريخـه وثقافته وأعرافه، وإذا ما حدث تغيير أو تجاهل لأي منها فهذا يؤدي إلـى ضـعف الانتمـاء للوطن فعندما تكون صفات الوطن منعزلة عن صفات الشعب تصبح هناك فجوة بين الـشعب والوطن وهذه الفجوة هي اللاهوية واللاإنتماء.

فالتغريب الذي يتعرض له العالم عن طريق العولمة (التي في حقيقتها أمركة) يـضيع هويات العالم وانتماءه وأحلامه القومية لحساب صوت واحد هو صوت الحلم الأمريكي.

وعلى الجانب الآخر فإن التشريق التي يتعرض لها تفقدنا جزء من هويتنـا، فللكـل هويته ونحن هويتنا ليس شرقية إسلامية كاملة (فلدينا بعدنا المـصري القـديم والحاضـرتين القبطية واليونانية اليونانية) ولسنا نهائياً بغريبين مع أن عادتنا الأصلية منفتحة عـن الـشرق بشكل كبير).

إن ضياع الهوية يفقد الشعب حقيقة الانتماء لوطنه وهذه يؤدي إلـى ضـياع حلمـه القومي بل هزل هي الوسيلة المثلى لتدمير حلم قومي وهي إضاعة هويته وانتماءه الحقيقـي الذي يميز حلمه.

و- الانتقال إلى ثقافة الواقعية واليأس والاستسلام للتبعية والخضوع وعدم التحدي:

ما يعطي الشعب العزيمة والإصرار على تحقيق الحلم هو التحدي وعدم الخضوع أو الاستسلام للتبعية أو الإهانة والأمل في مستقبل أفضل والقدرة على الحلم بالمستحيل لا بالممكن.

وما يفقد الشعب حتى رغبته في تحقيق الحلم هو الاستسلام للتبعية وفقدان الثقة بالنفس والخضوع وقبول الإهانة وفقدان الأمل في النجاح وانتشار اليأس وثقافة الواقعية.

قد يقول البعض أن الواقعية شيء مطلوب ومرغوب وأن العقلانية تقتدي عدم الانجراف وراء الأحلام ولكن في الواقع قد يبدو هذا الكلام صحيحاً عند السياسيين ولكنه خطيئة لا تغتفر عند الشعوب.

إرادة الشعوب هي ما يحركها لفعل المستحيل وانتزاع هذه الإرادة منها بدعوى الواقعية هي أكبر جريمة في حقها وهي الطريقة المثلى لجعل الشعوب تترك الحلم وتزدريه.

إذا ما أخذت اليابان بالواقعية لما كانت في ما هي عليه الآن، فدولة مدمرة بلا مواد خام ولا موارد مادية ولا تملك سوى البشر حتما واقعياً لا قيمة لها، لكن الحلم الذي توغل داخل قلب الياباني هو ما دفعه للسعي حتى النهاية للتقدم، وها هي النتيجة ثاني أقوى اقتصاد في العالم، ومن اكبر مانحي المساعدات للأمم المتحدة.

ولو فكرنا بواقعية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م لما رأينا شخصاً كعبد العاطي يصيد ٨٠ دبابة(دخل موسوعة جينيس للارقام القياسية) وهو رقم تفخر به دولة كاملة، ولو فكرنا بواقعية في حرب الاستنزاف لما تمكنا من تدمير الحفار أو المدمرة إيلات أو تشكيل الفرقة ٣٩ قتال التي كان أفرادها يأكلون الثعابين التي طولها مترين في الصحراء!

الواقعية هي روح اليأس والعجز والحجة الأولى للاستسلام للتبعية بل إنها الشعار الأبرز لدعاة الاستسلام والعجز والخيانة أحياناً.

هذه الواقعية وهذا اليأس وازدراء الذات والاستسلام واللاتحدي هي دائماً وأبداً قاتلات الحلم القومي داخل القلوب وعندما يقتل الحلم القومي داخل قلب الشعب فهذه تكون بداية النهاية السريعة لأي مشروع قومي وخاصة الأحلام القومية.

ز – عدم تجديد دماء الحلم:

الحلم قاعدته الرئيسية دائما الشباب والأطفال، وعندما يصبح خطاب الحلم قاصراً على الكبار وتنتشر الجلطة في مسيرة الحلم لعدم تجديد دماءه يكون هذا، هو الطريق سواء السريع أو البطيء (لا يهم) لنهاية وسقوط الحلم.

سبق وذكرت أن الحلم خطابه يجب أن يتضمن مرادفات وعبارات وأسلوب كامل حتى في طريقة الكاريزما مناسبة للشباب ومقبولة لديهم (الفصل الرابع: خطاب الحلم).

وهذا لأن الشباب يكفلون تكملة الحلم واستمراره – سبق وذكرت – أن الحلم صناعة طويلة المدى (الفصل الثالث: مقويات الحلم) لذلك فهي تحتاج أكثر من جيل لتكتمل، بل الحقيقة أنها صناعة غير متوقفة أو منتهية وتحتاج دائماً للتجديد حتى بعد تحقيق الحلم، فما أسقط معظم الحضارات أنها لم تهتم بحفظ الحلم بعد إنجازه فسقط الحلم وسقطت معه الحضارة.

انفصال الحلم وصياغته وخطابه عن الشباب والأطفال وعامة الشعب وبدء سقوطه في بحار الفنوية هي بداية النهاية، فالتطوير والتقدم والعمل والأنشطة التي تصنع الحلم وتصعد به من يفعلها هم عامة الشعب ومن سيكمل الطريق هم الشباب والأطفال عندما يصيروا كباراً.

وسقوط الحلم أمر مؤكد إذا لم يجد من يستكمله، فلا نهاية للحلم ولا حدود له وإذا ما توقف الحلم عن تجديد دماءه فسيصاب بالجلطة عاجلاً أو آجلاً وستسقط مع الدولة(سيسقط و معه المجتمع والوطن).

ح – سقوط المشروع الوحدوي:

كما ذكرت كثيراً فإن المشروع الوحدوي مرتبط بشدة بالحلم القومي وسقوطه بالتالي يهدد بسقوط الحلم القومي.

وما يسقط المشروع الوحدوي هو انتشار فكرة الأثرة وانتشار فكرة مجتمع الفرد على حساب مجتمع الوحدة الأولى (العائلة) وضياع القيم والعدو والأهداف المشتركة من عقلية الفرد.

فعندما تنتشر عقلية أن الفرد يؤمن بأنه هو ومن بعده الطوفان تسقط فكرة وحدة المجتمع والعائلة، لأن الفرد لا يأبه إلا لنفسه وما يسعده ويمتعه ويريحه بينما لا يبالي بحال وطنه أو مجتمعه، وبالتالي تنتشر الأحلام الفردية على حساب الأحلام الجماعية، وبالتالي تسقط قومية الحلم وبالتالي يسقط الحلم.

كذلك فانهيار القيم المشتركة وانعزال المجتمع إلى مجتمعات أصغر قد لا تتعدى العائلات الصغيرة، كل منها تحكمها قيم مختلفة يؤدي إلى سقوط فكرة القيم المشتركة وزعزعة المشروع الوحدوي.

وما يمكن أن يفسر ما أقول أنه عندما تتكون طبقة أغنياء غريبة العادات وطبقة وسطى تميل للعادات الشرقية نتيجة لحملة الأسلمة وطبقة فقيرة هي الوحيدة التي تتحلى بأخلاق المجتمع الحقيقية، حينها تختلف قيم المجتمع وتسقط وحدته.

كذلك فإن الأهداف المشتركة بينها انتشار روح الوحدة ومع عودة المجتمع لوحدته الأولى (العائلة) تنتشر فكرة وحدة الهدف، وعندما تسقط وحدة المجتمع ولحساب ثقافة الفرد فلا عزاء للأهداف المشتركة لأن كل شخص له هدفه ولا يبالي بما يحدث لهدف الآخر، ولا بما يحل بأحلام المجتمع أو بنهضة المجتمع والبلد.

وحنيها لا يبالي بما إذا كان هنا عدو يحيط ببلده أو مجتمعه ولا يبالي إن لم يكن هناك عدو له بما يفعل العدو بغيره، فإن تقدم هو وحصد الجوائز والمال والسلطة فلا مشكلة إن عاني من حوله من التخلف أو الفشل أو التبعية والضعف.

وهكذا تسقط فكرتي الهدف المشترك والعدو المشترك ويسقط معها ما تبقى من المشروع الوحدوي ويتفكك المجتمع ويمضى كل فرد ليحقق حلمه الخالص ولا عزاء للحلم القومي، وحينها لن يتحد أحد مع الآخر لتحقيق حلم مشترك ولا حلم قومي وهكذا يسقط الحلم القومي.



الخاتمة:

في هذه الدراسة قدمت ما استطعت لأجل أن أساهم في إيضاح الطريقة المثلى لصناعة ولتحقيق حلم قومي لبلدنا، ولكي لا نقع في أخطاء الماضي ويسقط حلمنا كما سقط في الماضي.

إني أحلم بانتماء حقيقي يسري في عروقنا، أحلم بهوية تجمعنا، أحلم بقلوبنا متحدة قوية ومقاتلة لأجل حلم نتحد حوله، أحلم بحلم لنا يوحدنا، يجعلنا نحب بلدنا، ويجعل لدينا أمل في الغد، أحلم بأن نحارب ونقاتل ونصنع ونبني ونتكافل ونكون جمعياً عائلة واحدة فقراء و أغنياء، مسلمون ومسيحيون ويهود، قاهريون، وإسكندريون، ودمياطيون، ونوبيون، وفلاحون، أحلم بأن نصير جسد واحد يطير مع حلمه من أجل بلده ونيله، ويعود ليسير على الأرض ليعمل ليحقق هذا الحلم.

أحلم أن يأتي يوم أرى حباً حقيقياً لمصر داخل عيون الأطفال والكبار والعجائز، أحلم أن أرى مصر الحقيقية ونيلها الشامخ السعيد مرة أخرى، أحلم أن أرى بسطاءها سعداء، أحلم أن أرى الجميع عائلة تعمل بحب من أجل المستقبل.

أحلم أن أعيش لأرى روح الرجال والنساء الذين استشهدوا عاشوا داخل قلب مصر سنين طوال، أحلم أن أرى روحهم داخل كل فتاة وفتى ورجل وامرأة في مصر.

أحلم أن أرانا نطير بمصر حالمين حلمنا القومي المصري، أحلم أن نأخذ بلدنا بعيداً حيث تستحق ونستحق، أحلم أن يأتي يوم أرى فيه مصر التي كانت منذ آلاف السنين هي مصر التي ستكون.

أحلم أن أراها وفلاحات البسيطات مبتسمات وعامليها البسطاء قد جعلوا مصانعها أقوى من مصانع أمريكا والصين في الإنتاج، أحلم أن يأتي أبناؤها ليعمرها ويجعلوها أعلى من اليابان بأحلامهم وطموحاتهم وعملهم، أحلم أن يأتي اليوم الذي لا أرى مصرياً إلا يدين بالولاء لها ولحلمها القومي.

أحلم أن أرانا واحد لديه أم واحدة يعشقها أكثر مما عشقها أحمد شوقي وتيم بها أكثر مما تيم بها أحمد شوقي.

أحلم أن يكون حلمنا القومي بلا مصطلحات ولا مفاهيم علمية كما كتبتها أنا، بل حلم غرائزي طاهر وعال وبسيط ويشعر به حتى من لا يعرف معنا كلمة حلم.

هل سيأتي هذا اليوم؟ هل سأرى مصر كما أحلم؟ هل سيتحقق الحمل؟ إني أثق بالمصريين بصدق، أعلم أنهم أقوي مما يظنوا، ومما يمكن لي التصور، أعلم بأن المصريين يستطيعون التحدي حتى النصر، أعلم بأنهم يمتلكون روحاً لم أرى ولم أسمع ولن أسمع – بإذن الله– عن مثلها في حيأتي، وأعلم أنهم في رباط إلى يوم القيامة – كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم –.

أعلم كل هذا وأصر على أن أحلم وأرجو أن أرى الحلم ذات يوم، ولكن ليتني أرى بوادر هذا الحلم، ليتني أستطيع أن أقاوم حتى اليأس.

ليت الحلم يتحقق نوره أو بوادره حتى، أرجو أن تجد هذه الدراسة من يقرؤها ليس كدارس أو سياسي وحسب ولكن كمصري يستطيع أن يحلم ويريد أن يصنع الحلم.

المراجع:

أ-المراجع العربية:

الكتب

١-لمصر لا لعبد الناصر

تأليف: محمد حسنين هيكل

٢-ناصر ٥٦

تأليف: محفوظ عبد الرحمن

٣-كتاب الدراسات الاجتماعية الصف الثالث الاعدادي

٤-أوباما الرئيس الأسود في البيت الابيض

٥-زعماء صهيون

٦-مذكرات الصاوي حبيب

٧-البوليقاري

٨-سلسلة حرب الجواسيس

تاليف : د/ نبيل فاروق

٩-قصيدة عبد العاطي صائد الدبابات

تأليف: عبد الرحمن الأبنودي

١٠- المرأة حين تحكم تاليف :مصطفي عبد الغني

١٣-الحكام العرب

تأليف:مجدي كامل

١٤- اليابان في عيون مصرية

١٥- أمريكا القلعة

١٦- عظماء بلا مدارس

١٧- حكاية ثورة ١٩١٩

تأليف:عماد أبو غازي

جريدة المصري اليوم:

١-مقال عن تحية كاريوكا

٢-حوار انيس منصور

٣-٧-ايام (مقالات منار الشوربجي)

٤-ملف كاس الامم الافريقية

٥- ملف عن عبد الناصر

المواقع الالكترونية:

١- اليوتيوب

www.youtube.com

خطب عبد الناصر

٢-ويكيبيديا

www.wikipedia.com

القوة الناعمة

برنامج الطبعة الأولي تقديم:أحمد المسلماني

١-حوار أحمد بهاء الدين

٢-حوار جمال الغيطاني

حوار اوباما للعالم الاسلامي

ب-المراجع الانجليزية:

A-www.wikipedia.com

1- Nationalism

2-Manga

3-Anime

4-softpower

5-Narutto/ Kakashi

7-shinsengumi

B-www.youtube.com

Obama's speech "yes we can"

Detective conan movie 5 "The phantom of the baker street"

